
روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
٤٤
الخارقون



١ ـــ عضلات فولاذية ..

تقافزت الصغيرة (نشوى) فى مرح ، وأخذت تتطلع إلى المارة والسيارات فى فضول طفولىّ ، والنهار واضح ، ثم تعود لتعلّق بكتف أمها ، ولا تلبث أن تفلت ، وتعود إلى التقافز والتطلّع الفضولىّ ، مما جعل أمها (سلوى) تطلق ضحكتها فى حنان ، وتلتفت إلى زوجها الرائد (نور) ، وتقول :

ــ انظر إلى (نشوى) يا (نور) .. إنها تشعر بسعادة جمّة ؛ لأننا نتنزّه على أقدامنا هذه المرّة .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ صدّقينى يا عزيزتى ، أنا أيضًا أشعر بسعادة مماثلة ، فالتطوُّر التكنولوجى يؤدى إلى التكاسل والخمول ، فكل شىء فى القرن الحادى والعشرين ، تقوم به الآلات ، والإنسان لا يبذل إلا أقل جهد ممكن ، ولقد كدت أنسى النزهات الراجلة ؛ من شدة انهماكى فى العمل .

ضحكت (سلوى) ، وهى تقول :

— يبدو أنك على حق يا (نور) .. إننا نسير منذ نصف ساعة فقط ، وهأنذا أشعر بالتعب والإرهاق .

توقَّف (نور) ، وربت على كتفيها فى تعاطف ، وهو يقول :

— حسنًا يا عزيزتى ، هناك مطعم أنيق على الجانب الآخر من الطريق ، وسأدعوك و (نشوى) إلى شراب منعش ، قبل أن نواصل نزهتنا .

صفَّقت (نشوى) بكفَّيها الصغيرتين فى جذل ، وأسرعت تحاول عبور الطريق ، ولكن (نور) جذبها إليه ، وهو يقول فى مرح :

— ليس ذلك ممكنًا يا صغيرتى ، فهناك حاجز كهرومغناطيسى خفىّ ، يمنع مرور المارة عَبْر الطريق ، إلا حينما يخلو من السيارات الصاروخية .

ومع ظهور الضوء الأحمر ، ترك (نور) طفلته ، وابتسم وهو يقول :

— الآن يمكننا العبور فى أمان .

انطلقت (نشوى) تعدو عَبْر الطريق ، فى محاولة مرحة للوصول إلى الجانب الآخر قبل والديها ، وضحكت (سلوى) وهى تقول :

— ابنتك تشبهك يا (نور) .. إنها عنيدة ، محبَّة للتفوُّق والسرعة .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— من شابه أباه فما ظلم .

وفجأة .. اتسعت عينا (سلوى) فى رعب ، وارتفعت سبَّابتها تشير إلى (نشوى) فى جزع هائل ، دون أن تنجح فى إطلاق تلك الصرخة ، المختنقة فى حلقها ، وأدار (نور) عينيه محاولًا البحث عمَّا أثار رُعبها ، وتراجع فى لوعة ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. (نشوى) .

فقد كانت هناك سيارة صاروخية ، تجاوزت إشارة الإيقاف الحمراء ، وتنطلق نحو الصغيرة (نشوى) ..

نحو ابنة (نور) و (سلوى) ..

* * *

على الرغم من أن السيارة لم تكن تنطلق بكامل سرعتها ، نظرًا لسيرها داخل المدينة ، إلَّا أن سرعتها فى هذه اللحظة كانت تبلغ مائة كيلومتر فى الساعة على الأقل ، ولو أننا علمنا أن سرعة الإنسان العادى تبلغ فى السير ستة كيلومترات فى الساعة ، وأن هذه السرعة يمكنها أن تتضاعف عشر مرات فى لحظات

الخطر ، فإن أقصى سرعة يمكن أن ينطلق بها (نور) لإنقاذ ابنته ، لم تكن لتتجاوز ستين كيلومترًا فى الساعة .. وعلى الرغم من استحالة ذلك ، فالمسافة نفسها لم تكن تسمح له بالنجاح ، حتى لو استطاع العَدْو بهذه السرعة ..

وبات مصرع الصغيرة محتمًا ..

وانطلقت صرخة يائسة من بين شفتى (سلوى) ..

وفجأة .. حدث شىء أقرب إلى الحلم والخيال ..

لقد اندفع رجل فجأة ، من الجانب الآخر للطريق .. اندفع بسرعة مذهلة ، بدا للجميع أنها تتجاوز سرعة السيارة ، أو تزيد عنها قليلًا ، حتى أنه وصل إلى الصغيرة المذعورة فى زمن يصعب تقديره ، إلا باستخدام أدوات القياس الحديثة ، والتقطها بذراعيه ، ثم استدار يواجه السيارة ، التى كان قائدها يصرخ مذعورًا ، بعد أن فقد السيطرة على كوابحها ..

ورأى (نور) و (سلوى) ، ورواد الشارع كله ، أكثر مشاهد حياتهم ذهولًا ..

لقد خُيِّل إليهم — لجزء من الثانية — أن السيارة سترتطم بالرجل ، وتمزقه مع الصغيرة التى يحملها بين ذراعيه فى اهتمام بالغ ، ولكن الرجل مد ذراعه عن آخرها ، وحمل مقدمة السيارة إلى أعلى فى اللحظة الأخيرة ..

بل حمل السيارة كلها ، كما يحمل الطفلة .. بنفس البساطة ، وعاد يضعها أرضًا ، بعد أن توقفت عجلاتها عن الدوران ..

واندفعت (سلوى) كالصاروخ ، واختطفت ابنتها المذعورة من بين ذراعيه فى لهفة ، واحتضنتها فى جزع ، وهى تضمها إلى صدرها ، وتتحسسها فى قلق ، وكأنها تطمئن إلى أنها لم تصب بسوء ، ثم رفعت عينيها إلى الرجل ، الذى بدا شاردًا مذهولًا ، وهتفت :

— لقد أنقذت ابنتى .. كيف أشكرك ؟

حدجها الرجل بنظرة شاردة ، ثم عاد يحدق فى السيارة التى أوقفها فى ذهول ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، فى حين ازدحم الشارع بالمشاهدين ، الذين بهرهم ما قام به الرجل ، وشق (نور) طريقه بينهم فى صعوبة ، حتى وصل إلى زوجته وابنته ، فربت على كتف الأولى فى حنان ، وقبل الثانية فى ارتياح ، قبل أن يلتفت إلى الرجل ، ويسأله فى اهتمام شديد :

— ينبغى أن أشكر لك إنقاذك لابنتى يا سيدى ، ولكن .. كيف فعلت ذلك ؟

تطلع إليه الرجل فى حيرة ، وغمغم فى شرود :

— فعلت ماذا ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لقد عدوْت بسرعة مذهلة ، وأوقفت سيارة مسرعة ، وحملتها بذراع واحدة فى بساطة و ....

بتر (نور) عبارته ، وهو يتطلّع إلى الرجل فى دهشة ، فقد ارتسم الفزع على وجه الرجل ، وبدا أكثر ذعرًا ودهشةً من الجميع ، وهو يغمغم فى ذهول :

ــ أنا ؟!.. أنا فعلت ذلك ؟!

نقلت (سلوى) بصرها فى قلق ، بين وجه (نور) ، ووجه الرجل ، وتمتمت فى توتُّر :

ــ أنت فى إجازة يا (نور) .

ولكن (نور) لم يجب عبارتها ، بل لم يبد عليه أنه قد سمعها ، وهو يشد على يد الرجل ، ويقول فى اهتمام بالغ :

ــ أقدم نفسى يا سيِّدى .. الرائد (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية ، وأعتقد أن ما فعلته سيثير انتباه المسئولين جدًّا .

اتسعت عينا الرجل فى ذعر ، فى حين أردف (نور) فى حزم :

ــ سيثيرهم جدًّا .

* * *

٢ ــ السُّوبرمان ..

استمع (رمزى) و (محمود) إلى القصة ، من بين شفتى (نور) فى ذهول ، ثم غمغم (رمزى) ، وهو يحك رأسه فى توتر :

ــ يا إلهى !!.. لولا أنك أنت الذى رأى ذلك بعينيه ، ما صدَّقته أبدا يا (نور) .

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ــ لو أنك رأيته بنفسك ، لأصابك مثلما أصابنى يا (رمزى) .

ثم استطرد فى اهتمام :

ــ ألا يوجد تفسير علمى لذلك يا (رمزى) ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه فى حيرة ، وقال :

ــ فى حالة التوتُّر ، أو الشعور بالخطر ، تفرز الغدة فوق الكُلوية مزيدا من مادة الأدرينالين ، التى تضاعف قوة الإنسان ، وقدراته ، ولكنها لن تصل أبدا إلى القوة التى تصفها ، هذا أقرب إلى شخصية (سوبرمان) الخيالية .

غمغم (نور) فى شرود :

ـــ يبدو أنه يوجد دائمًا جزء من الحقيقة فى أى خيال يا (رمزى) .

وافقه (رمزى) بإيماءة من رأسه ، فى حين قال (محمود) :

ـــ لم لا ننتظر حتى ينتهى الدكتور (حجازى) من فحص الرجل يا رفاق .

تمتمت (سلوى) ، وهى تحاول الابتسام :

ـــ أكاد أموت فضولاً لمعرفة ما سيتوصل إليه يا (محمود) .. فهو يفحصه منذ ساعتين .

لم تكد تتم عبارتها حتى ظهر الدكتور (حجازى) على عتبة الحجرة ، فالتفتت إليه عيون الجميع فى لهفة ، وسأله (نور) فى توتر واضح :

ـــ ماذا وجدت يا دكتور (حجازى) ؟

زفر الدكتور (حجازى) فى قوة ، وهو يلوّح بكفه قائلاً :

ـــ لا تعجلنى يا (نور) .. فالذهول الذى يملأ أعماقى لم يتلاش بعد .

تبادل أعضاء الفريق نظرة قلقة ، ثم هتفت (سلوى) :

ـــ إنك تكاد تقتلنى فضولاً يا دكتور (حجازى) .

جلس الدكتور (حجازى) على أول مقعد وجده فى طريقه ، وعاد يزفر فى قوة ، وهو يقول :

ـــ لقد كنت أظن أننى بصدد فحص رجل عادى ، وليس (سوبرمان) .

عقد (نور) حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

ـــ كلنا نعلم أن الـ (سوبرمان) شخصية وهمية يا سيدى .

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا فى وقار ، وقال :

ـــ كنت أظن ذلك منذ ساعتين يا (نور) ، أما الآن فأنا موقن أنه شخصية حقيقية .

هتفت (سلوى) ، وقد وصل فضولها إلى ذروته :

ـــ ماذا وجدت يا دكتور (حجازى) .

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وانعقد حاجباه على نحو يوحى بأهمية الأمر ، وهو يقول :

ـــ فى بداية الفحص وجدت أمامى رجلاً فى حدود الأربعين من عمره ، أنيقًا ، وسيمًا ، يشفّ مظهره عن بنيان رياضى قوى ، ولكنه لا يصل إلى مقدار القوة التى وصفها (نور) و (سلوى) .. ولقد كان الرجل متجاوبًا ، متعاونًا ، فلم يمانع فى فحصى له ، وقد بدا أكثر شغفًا منى بمعرفة الحقيقة

تنهّد الدكتور (حجازى) لحظة ، قبل أن يستطرد :

ــ وعندما بدأت الفحص ، اكتنف الذهول كلينا .

ثم رفع عينيه إليهم ، وقال :

ــ هل تعلمون ماذا حدث ، حينما حاولت الحصول على عينة من دمه ؟.. لقد انكسرت إبرة الحقن ، وعجزت عن اختراق جلده .

اتسعت عيونهم فى ذهول ، وفتح (نور) فمه ، وكأنه يهم بنطق عبارة ما ، ولكن الدكتور (حجازى) أوقفه بإشارة من يده ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ــ إنه ليس رجلاً آليًا ، كما قد يظن بعضكم ، بل هو بشرى مثلنا ، من لحم ودم ، ولكن جسده يشبه الصلب ، أو الفولاذ القوى .. فعدد نبضات قلبه يبلغ سبعمائة دقة فى الدقيقة الواحدة ، أى ما يساوى ثمانية أضعاف متوسط نبض الشخص العادى .. ولم يمكننى ثقب خلاياه إلا باستخدام مثقاب آلى .. له رأس من الماس الصلد ، ولقد نجح فى اختراق لوح من الصلب ، يبلغ سمكه سنتيمترًا واحدًا بقبضته ، والعدو بسرعة مائة كيلومتر فى الساعة ، والقفز إلى ارتفاع عشرة أمتار ، وسماع ذبذبة يبلغ ترددها ربع الذبذبة التى يمكن لإحدى الآذان البشرية سماعها ..

وتنهّد مرة أخرى ، وهو يردف :

ــ إنه باختصار (سوبرمان) حقيقى .

ساد صمت مشوب بالذهول لحظة ، ثم هتف (نور) فى حيرة :

ــ ولكن كيف ؟.

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وقال فى هدوء :

ــ يمكنك أن توجه هذا السؤال إليه يا (نور) ، فهو أكثر منا ذهولاً لوجود تلك القدرة فى أعماقه .

* * *

ــ اسمى (طارق حسنين) ..

بدأ الرجل الخارق حديثه بهذا القول ، ثم تطلّع إلى (نور) فى حيرة ، انتظارًا لسؤاله التالى ، فسأله (نور) فى اهتمام :

ــ كيف اكتسبت هذه القوة الخارقة يا سيد (طارق) ؟

قلّب (طارق) كفّيه فى حيرة ، وانتقلت هذه الحيرة إلى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

ــ لست أدرى أيها الرائد .. صدقنى لست أدرى .. إننى مهندس معمارى ، أعيش حياة عادية ، لم أتزوج بعد ، وآخر ما أذكره هو أننى كنت أعمل على جهاز الكمبيوتر الخاص

بالتصميمات المعمارية ، حينما وجدت نفسى فجأة بينكم وسط الطريق ، وعلمت منكم ما فعلته .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ هل تعنى أنك فقدت الذاكرة ؟

مطَّ (طارق) شفتيه ، وهزَّ كتفيه فى حيرة ، وهو يقول :

ــ لست أدرى .. هناك فجوة فى ذاكرتى ، ولست أدرى مداها .. فقد كنت أعمل أمس ، كعادتى فى أمسيات الجمعة و ....

قاطعه (نور) فى دهشة :

ــ أمس ؟!.. ولكننا لسنا فى يوم السبت يا سيد (طارق) .. إنه الثلاثاء .

انتفض (طارق) فى قوة ، واتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يهتف :

ــ الثلاثاء ؟!.. هل تعنى أننى فقدت الذاكرة لأربعة أيام كاملة ؟

تدخَّل (رمزى) فى اهتمام :

ــ لحظة يا سيد (طارق) .. ألا تذكر لحظة واحدة من هذه الأيام الأربعة ؟

هتف (طارق) فى انفعال :

ــ ولا لحظة واحدة .

سأله (نور) فى قلق :

ــ وإلى أين كنت تذهب ، حينما شاهدت الحادث ، الذى تعرَّضت له ابنتى ؟

عقد (طارق) حاجبيه فى تركيز ، وغمغم فى بطء :

ــ لست أدرى .. ربَّما كنت ذاهبًا إلى عملى أو ....

اتسعت عيناه فجأة ، وتحوَّل صوته إلى نبرات خشنة عميقة ، وهو يقول :

ــ التاسعة والنصف مساءً .. مهما كانت الظروف .. مهما كانت العقبات .

ثم نهض من مقعده بحركة حادة ، وحدق ببصره فى نقطة مجهولة ، وهو يردِّد فى آلية :

ــ مهما كانت العقبات .. مهما كانت العقبات .

غمغمت (سلوى) فى خوف :

ــ ماذا أصابه ؟

واقترب منه (محمود) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ اهدأ يا سيد (طارق) .. لا توجد عقبات .



استدار إليه (طارق) فى سرعة ، ثم انقضَّ عليه بغتة ، وحمله إلى أعلى ..

استدار إليه (طارق) فى سرعة ، ثم انقضَّ عليه بغتةً ، وحمله إلى أعلى ، فهتف (نور) فى ذعر :

ــ كلَّا يا (طارق) .. كلَّا .

واتسعت عينا (محمود) فى رعب ، ثم شهق فى ألم ، حينما قذف به (طارق) إلى الحائط ، فارتطم فى قوة ، ثم سقط فاقد الوعى ، وأدار (طارق) عينيه إلى باقى أفراد الفريق ، وهو يردِّد فى شراسة عجيبة :

ــ مهما كانت العقبات .

تراجعت (سلوى) فى رعب ، وغمغم (رمزى) فى ذهول :

ــ ربَّاه !! وكأنه شخص آلى مبرمج .

وعقد (نور) حاجبيه ، وهو ينتزع مسدَّسه الليزرى ، ويقول فى صرامة :

ــ قف يا سيِّد (طارق) .. إنك لن تغادر هذه الحجرة إلَّا على جثتى .

انبعث بريق وحشى مخيف من عينى (طارق) ، وأطلق من بين أسنانه زمجرة مخيفة ، ثم انقضَّ على (نور) ، وهو يصرخ فى جنون :

— مهما كانت العقبات .. مهما كانت العقبات .

وأطلق (نور) أشعة مسدسه الليزرى ، ثم تراجع فى ذعر ، حينما ارتطمت الأشعة القاتلة بصدر (طارق) ، ثم ارتدت فى قوة ، فى حين واصل هو انقضاضه ، وأمسك (نور) بذراعيه ، ورفعه عاليًا ، وهو يصرخ :

— لن يعوقنى شىء عن اللقاء .

وأطلقت (سلوى) صرخة مدوّية ، فقد كان زوجها بين ذراعى رجل خارق ..

بين ذراعى (سوبرمان) حقيقى مجنون ..

* * *

٣ — وسقط نصف الفريق ..

كانت قبضتا (طارق) كالفولاذ ، حول ذراعى (نور) ، وشعر (نور) بأصابعه تنغرز فى ذراعه ، وتغوص فى لحمه ، وشعر بدمائه الساخنة تسيل على ذراعيه ، قبل أن يدفعه (طارق) فى قوة نحو (سلوى) ..

وارتطم (نور) بزوجته ، التى ارتطمت بدورها فى الحائط ، وسقط كلاهما أرضًا ، وعاد (طارق) ينقضّ على (نور) فى وحشية ، ورفع قبضته الفولاذية ، استعدادًا لتحطيم صدر (نور) ، حينما ارتفع صوت (رمزى) آمرًا فى صرامة :

— لا تقتل .. لقد انتهت العقبات .. لا تقتل .

تسمّرت قبضة (طارق) فى الهواء ، واختفت الشراسة والوحشية من عينيه ، وحلّ محلهما شرود عجيب ، وهو يحدّق فى المجهول ؛ ثم اعتدل فى بطء ، وهو يغمغم بذلك الصوت الخشن العميق :

— التاسعة والنصف .. مهما كانت العقبات .

ثم قفز نحو الحائط ، واخترقه بضربة ساحقة ، وانطلق يعدو بسرعة خارقة ، عبْر الفجوة التى صنعها ، مخترقًا الصحراء التى يطلّ عليها مركز الأبحاث التابع لإدارة المخابرات العلمية ، حتى اختفى فى الأفق ، و(نور) و(رمزى) يتابعانه فى ذهول ، ثم التفت (نور) إلى زوجته ، وهتف فى جزع :

— هل أنت بخير يا (سلوى) ؟.. يا إلهى !!.. (سلوى) !..

لم يتلق جوابًا ، فقد كانت (سلوى) فاقدة الوعى ، ومن طرف شفتيها سال خيط من دماء الحياة ..

* * *

تحرك (نور) فى عصبية ، خارج حجرة الطوارئ ، فى مستشفى المعادى العسكرى ، وقد انعقد حاجباه فى قوة ، وبدت على ملامحه أمارات التفكير العميق ، مما حدا بـ(رمزى) إلى أن يقول فى خفوت وتعاطف :

— لا تقلق يا (نور) .. سينجو (محمود) و(سلوى) بإذن الله .

التفت إليه (نور) فى بطء ، وبدا الحزن مختلطًا بالغضب فى عينيه ، وهو يقول :

— أرجو ذلك يا (رمزى) .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ظهر الطبيب المسئول خارج حجرة الطوارئ ، وسأله (نور) فى لهفة وقلق :

— كيف حالهما يا سيّدى الطبيب ؟

ابتسم الطبيب فى شحوب ، وهو يقول :

— سينجوان بإذن الله .

ثم تلاشت ابتسامته مع انعقاد حاجبيه ، وهو يردف :

— ولكن ماذا حدث لهما بالله عليك ؟.. لقد تحطّمت خمسة ضلوع لصديقك ، وأصيبت زوجتك بارتجاج قوى فى المخ ، وأنت تؤكد أنه ليس حادث سيارة ، ولا سقوط من عل .. فكيف أصابهما هذا ؟

غمغم (نور) فى سخط :

— إنه قتال يدوى .

عقد الطبيب حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

— هذا مستحيل يا ولدى ، فمهما بلغت قوة من تشاجر معهما ، فلن يبلغ هذا الحدّ ، أو ....

قاطعه (نور) فجأة :

— متى يمكنهما مغادرة المستشفى يا سيّدى ؟

مطّ الطبيب شفتيه ، وغمغم :

— سيحتاج الشاب إلى أسبوعين على الأقل ، أما زوجتك ، فلن تستعيد وعيها قبل ثلاثة أيام .

أغمض (نور) عينيه ، وهو يزفر فى ضيق ، ثم عاد يفتحهما ، وهو يلتفت إلى (رمزى) ، مغمغمًا فى مزيج من الحزن والحزم :

— هذا يعنى أن نصف الفريق قد سقط يا (رمزى) .. وأنه سيكون علينا أنا وأنت فقط ، أن نكمل عملية البحث عن (السوبرمان) .

* * *

خيّم الصمت تمامًا على حجرة (نور) ، الذى جلس إلى جوار نافذة الحجرة ، يرتكن بذقنه على قبضته المضمومة ، ويتطلّع عبْر النافذة فى شرود ، فى حين جلس (رمزى) على بعد أمتار قليلة منه ، صامتًا ، يتطلّع إليه فى إشفاق وقلق ، حتى مضى وقت طويل ، لم ينطق فيه أحدهما بكلمة واحدة ، فقطع (رمزى) حبل الصمت ، قائلاً فى صوت خافت :

— دع القلق يا (نور) ، ستنجو (سلوى) بإذن الله .

أدار (نور) عينيه إليه فى هدوء ، وتطلّع إليه لحظة فى شرود ، قبل أن يقول :

— لقد طمأننى الطبيب على نجاتها يا (رمزى) ، وأنا أثق به ، وليس هذا ما يشغلنى .

عقد (رمزى) حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

— لِمَ كل هذا القلق إذن ؟

لوّح (نور) بذراعه ، وهو يقول :

— هل نسيت السبب فى إصابتهما يا (رمزى) ؟.. هل نسيت ذلك الرجل الخارق ، الذى اقتحم حياتنا فجأة ، واختفى فجأة ، تاركًا أمامنا أكبر لغز واجهنا منذ فترة طويلة .

ظهر الاهتمام على وجه (رمزى) ، وهو يغمغم :

— لقد كان ينفّذ مهمة ما يا (نور) .

اعتدل (نور) ، وسأله فى اهتمام :

— ماذا تعنى يا (رمزى) ؟

أجابه (رمزى) فى هدوء :

— هذا الرجل واقع تحت تأثير سيطرة ما ، ربما نوع من التنويم المغناطيسى ، أو ما يشبهه .. ولقد أمره الشخص ، أو الشىء الذى سيطر عليه بالذهاب إلى مكان ما ، أو أداء مهمة ما ، فى تمام التاسعة والنصف ، على ألا تعوقه أية عقبات ، مهما كان الثمن .

عقد (نور) حاجبيه فى اهتمام ، ونهض من مقعده ، وتحرك بضع خطوات داخل الحجرة ، قبل أن يقول :

— هذا صحيح يا (رمزى) .. فالمهندس (طارق) كان يعمل أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به ، حتى وقت متأخر من مساء الجمعة .. ثم فجأة وجد نفسه ظهر الثلاثاء ، وفى هذه الفترة ؛ من مساء الجمعة ، إلى ظهر الثلاثاء ، حدث له شىء مجهول ، جعله يُصِرّ على تأدية مهمة غامضة ، مهما كان الثمن .. وحينما سألته أنا عن المكان الذى كان يتوجّه إليه ، انطلقت ثورة أعماقه من عقالها ، وسيطر عليه ذلك الشىء المجهول ، الذى منحه هذه القوة الخارقة ، ودفعه دفعًا إلى مقاتلتنا ، والفرار إلى مكان ما .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يستطرد :

— ولكن لماذا ؟.. وكيف ؟.. وأين ؟.. هذا هو ما ينبغى أن نبحث عنه .

سأله (رمزى) فى حيْرة :

— وكيف نبحث عنه يا (نور) ؟.. إننا لا نعرف عن (طارق حسين) هذا إلا أنه مهندس معمارى .. هل يكفينا ذلك ؟

ابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يقول فى ثقة :

— يكفينا تمامًا يا (رمزى) ، ولا تنس أننا نبحث عن رجل يختلف عن باقى البشر .. رجل خارق .

* * *



٤ ــ رحلة البحث ..

تابع (نور) و (رمزى) فى اهتمام بالغ ، تلك الأسماء التى تراصت بسرعة على شاشة الكمبيوتر ، ثم أشار (نور) إلى الشاشة ، وقال :

ــ نقابة المهندسين فى مصر ، تضم سبعة أشخاص يحملون اسم (طارق حسين) منهم اثنان : مهندس ميكانيكى قوى ، ومهندس كهربائى ، واثنان مهندسان نوويان ، وواحد مهندس مدنى .. والأخير هو ضالتنا ، (طارق حسين) المهندس المعمارى .

غمغم (رمزى) ، وهو يتابع الكلمات على الشاشة :

ــ وهو يعمل فى شركة المقاولات المصرية ، وسيكون من السهل علينا العثور عليه .

نهض (نور) فى حماس ، وهو يقول :

ــ هيا يا (رمزى) .. سنبدأ رحلة البحث .

* * *

ــ « أتسألنى عن المهندس (طارق) ؟!.. بل أنا الذى يريد معرفة أين هو ؟ »

هتف مدير شركة المقاولات المصرية بهذه العبارة فى حنق ، ثم استطرد فى سخط :

ــ إنه إنسان غير مسئول .. لقد ترك تصميمات أحد المشاريع الجديدة ، فى الوقت الذى كنا نحتاج فيه إلى إتمام العمل بسرعة ، دون أن يترك عنوانًا ، أو يقدّم اعتذارًا .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ ألم تحاولوا البحث عنه ، منذ يوم السبت الماضى ؟

حدّق المدير فى وجه (نور) بدهشة ، ثم هتف فى استنكار :

ــ السبت ؟!.. ولكن المهندس (طارق) لم يختف إلا اليوم فقط .

هتف (نور) و (رمزى) فى آن واحد :

ــ اليوم ؟!

ثم استطرد (نور) فى انفعال :

ــ هل تعنى أنه كان يعمل هنا أيام السبت والأحد والاثنين ؟

هتف المدير فى جدّة :

ـــ بالطبع .. لو أنه اختفى طوال هذه المدة ، لفصلته على الفور .

سأله (رمزى) :

ـــ وهل كان طبيعيًا ؟.. أعنى ألم تلمح أى تغيير فى شخصيته ؟

عقد المدير حاجبيه ، وهو يفكّر فى عمق ، ثم قال :

ـــ لا .. لقد كان طبيعيًا للغاية .

تبادل (نور) و (رمزى) نظرات الدهشة ، ثم قال (نور) فى اهتمام :

ـــ هل تعلم أين يسكن المهندس (طارق) ؟

سأله المدير فى شك :

ـــ لماذا ؟.. هل تنوى البحث عنه هناك ؟

أجابه (نور) فى هدوء عجيب :

ـــ لا يا سيّدى .. ولكننى سأبحث هنـــاك عن طرف خيط ، قد يقودنا إلى حل غموض لغز عجيب متشابك .

* * *

تلفّت (رمزى) حوله فى قلق ، وغمغم :

ـــ (نور) .. إن هذا يجعلنا أشبه بلصّين عريقين فى عالم الإجرام .. ألم يكن من الأجدر أن نحصل على تصريح بتفتيش المنزل ، بدلاً من التسلل إليه على هذا النحو .

تمتم (نور) ، وهو يفحص المكان بعينين خبيرتين :

ـــ لو أننا كنا لصين محترفين ، ما بذلنا كل هذا الجهد للتسلل إلى المنزل يا (رمزى) .. ثم إننى لا أحب أن أبدو أحمق ، حينما أطالب بتصريح لتفتيش منزل رجل مدعيًا أنه (سوبرمان) .

غمغم (رمزى) فى حَنَق :

ـــ ولكنه ارتكب جريمة بالفعل .. فقد حطّم ضلوع (محمود) ، وأصاب (سلوى) بارتجاج فى المخ .

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـــ لقد أنقذ ابنتى أيضًا يا (رمزى) ، ثم إننا نتفق على أنه فعل ما فعله بـ (محمود) و (سلوى) وهو فى غير وعيه ، ولست أحب أن أشوه سمعة الرجل الذى أنقذ حياة ابنتى ، دون دليل كافٍ على أنه مسئول عن أفعاله ..

هتف (رمزى) فى ضيق :

ـــ ولكن يا (نور) ..

أوقفه (نور) بإشارة من يده ، وهو يقول فى لهفة واهتمام :

ــ انظر هناك يا (رمزى) ، ها هوذا الكمبيوتر الذى يعمل عليه المهندس ، آخر شاهد رآه فى وعيه ، قبل أن يسيطر عليه ذلك الشىء المجهول .

ثم أسرع إلى جهاز الكمبيوتر ، وضغط زرّ تشغيله ، وأخذ يراقب ما ظهر على شاشته فى اهتمام بالغ ، حتى أنه لم يشعر باقتراب (رمزى) ، ومشاركته إيّاه المراقبة ، حتى سمعه يقول :

ــ من الواضح أنه كان يضع تصميمًا معماريًا جديدًا و ....

بتر عبارته فجأة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم فى دهشة :

ــ ماذا تعنى هذه المعادلات فى نهاية البرنامج يا (نور) ؟

تطلّع (نور) فى اهتمام إلى المعادلات ، التى أشار إليها (رمزى) ، وقرأ على الشاشة :

ــ [+ ث ت / + د ب] ..

فغمغم بدوره :

ــ رباه !! .. ماذا يعنى هذا ؟

قال (رمزى) ، وكأنه يحاول فهم المعادلة العجيبة :



أوقفه (نور) بإشارة من يده ، وهو يقول فى لهفة واهتمام :
ــ أنظر هناك يا (رمزى) ، ها هو ذا الكمبيوتر ..

— أهى إحدى المعادلات المستخدمة فى هندسة المعمار ؟

هزّ (نور) رأسه فى حيْرة ، وقال :

— لست أدرى يا (رمزى) ، فهذا يحتاج إلى رأى مهندس معمارى أيضًا .. ولكن الواضح أن الرموز ، المستخدمة فى هذه المعادلة الأخيرة ، لم ترِدْ فى البرنامج كله من قبل ، وهى آخر إضافة (طارق) إلى برنامجه .

ساد الصمت بينهما لحظات ، ثم أشار (نور) إلى المعادلات الواضحة على شاشة الكمبيوتر ، وقال فى هدوء :

— لو أردت رأيى يا (رمزى) ، فأنا موقن أن حل هذا اللغز كله ، يكمن فى هذه المعادلة الأخيرة ، فبعدها تحوّل (طارق) إلى رجل خارق ، تلقّى الأمر بمهمة واحدة ، والله (سبحانه وتعالى) وحده ، يعلم ما يمكن أن تعنيه هذه المهمة لمصر ، أو للعالم أجمع .

* * *

قرأ مدير شركة المقاولات المصرية المعادلة الغامضة لثالث مرة ، ثم هزّ رأسه فى حيْرة ، وقال :

— إنها لا تعنى شيئًا أيها الرائد ، وهى لا تنتمى إلى علم هندسة المعمار بأى حال من الأحوال ، ثم إنها ....

بتر الرجل عبارته ، وتردّد لحظة ، فقال (نور) فى لهفة ، يستحثّه على المضىّ :

— ثم إنها ماذا يا سيّدى ؟

هزّ الرجل كتفيه ، وغمغم :

— ثم إنه لا معنى لبدايتها بعلامة الجمع الموجبة ، فالعلامات لا توضع فى البداية ، إلا إذا كانت سالبة فحسب ، وإلا فالرقم ، أو الرمز ، يعتبر موجبا حتميًا .

بدا الاهتمام على وجه (نور) ، وهو يسأله :

— هل تعنى أن هذه المعادلة مكتوبة على نحو رياضى خاطئ ؟

تردّد الرجل لحظة أخرى ، ثم قال فى لهجة من يتنصّل مما يقول :

— يمكنك أن تقول ذلك .

نهض (نور) ، وصافح الرجل ، وهو يقول فى هدوء :

— شكرًا يا سيّدى .. هذا كل ما نحتاج إليه .

ولم يكد يغادر الشركة مع (رمزى) ، وينطلقان معًا فى سيارته الصاروخية ، حتى تنهّد (رمزى) ، وقال فى إرهاق واضح :

— من يصدّق أنها السادسة والنصف مساءً ؟.. وأننا لم نلتق بالرجل الذى يكبّدنا البحث عنه كل هذه المشاق إلاّ منذ ست ساعات فقط .

قال (نور) فى حنق واضح :

— وماذا فعلنا فى هذه الساعات الستّ ؟

رفع (رمزى) حاجبيه فى دهشة ، وهتف فى استنكار :

— ماذا تقول يا (نور) ؟.. لقد حدث فى هذه الساعات الستّ ما يحتاج إلى يومين كاملين ، فقد فحص الدكتور (حجازى) (طارق) ، واستجوبته أنت ، ثم تشاجرنا معه ، وهرب ، وعثرنا على مكان عمله ، وفتشنا شقته .. ماذا كنت تريد أن نفعل فى هذا الوقت ؟.. تدور حول العالم ؟

غمغم (نور) فى ضيق :

— ليس المهم ما فعلناه يا (رمزى) ، المهم ما توصّلنا إليه .. فكل ما نعلمه حتى الآن هو أن هناك موعدًا ما فى التاسعة والنصف مساءً ، وفى مكان ما ، ونحن نجهل المكان و ....

وبتر عبارته فجأة ، وهتف :

— يا إلهى !!.. المكان .. لقد توصّلت إلى حلّ نصف اللغز يا عزيزى (رمزى) .. لقد حققنا نصف النصر فى هذه الساعات الستّ .

* * *



٥ ــ موعد فى الجبل ..

أوقف (نور) سيارته إلى جانب الطريق ، والتفت إلى (رمزى) ، الذى هتف فى لهفة شديدة :

ــ ما الذى توصَّلت إليه يا (نور) ؟.. ما الذى وجدته ؟

أجابه (نور) فى انفعال :

ــ تذكَّر العبارة يا (رمزى) .. المعادلة ..

سأله (رمزى) فى فضول :

ــ ماذا بها ؟

لوَّح (نور) بكفِّه ، وهو يقول :

ــ لماذا تبدأ المعادلة بعلامة موجبة ، ما دام هذا غير مألوف فى المعادلات الرياضية ؟

قلَّب (رمزى) شفتيه فى تساؤل ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، فاستطرد (نور) فى حماس :

ــ لأنها ليست معادلة رياضية يا صديقى .. ليست معادلة على الإطلاق .

وضحك فى جذل ، جعل (رمزى) يحدِّق فى وجهه بدهشة ، ويهتف به :

ــ ما هى إذن يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى انفعال :

ــ إنها أبسط مما كنت أتوقَّع يا (رمزى) ، ولعل بساطتها هذه هى السبب فى خرْقى طيلة الوقت .

ثم انحنى نحو (رمزى) ، واستطرد فى اهتمام :

ــ إنها مجرَّد شفرة رقمية حرفية بسيطة .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حيْرة :

ــ ماذا تعنى ؟

هتف (نور) :

ــ أبسط أنواع الشفرات فى العالم .. إنها تعطى لكل حرف من الحروف الأبجدية رقمًا .. فحرف (الألف) يقابله الرقم (واحد) ، و (الباء) يقابله الرقم (اثنان) .. وهكذا .. واعتمادًا على هذه الشفرة البسيطة ، تكون المعادلة الغامضة [+ث ت / + $\frac{1}{2}$ د ب] تساوى [+ ٣٤ / + $\frac{1}{2}$ ٢٨] .

مطَّ (رمزى) شفتيه ، وغمغم :

ــ ما زلت لا أفهم شيئًا .

صاح (نور) فى حماس :

ـــ إنها إحداثيات مكانية يا صديقى .. تحديد لمكان اللقاء بخط طول (٣٤°) ، وخط عرض (٢٨,٥°) .. أما بالنسبة للعلامتين الموجبتين ، فهما تعنيان أن خط الطول يقع شرق خط الزوال ، وخط العرض يقع شمال خط الاستواء .

ثم أسرع يلقن هذه المعلومات للكمبيوتر الصغير ، فى واجهة سيارته الداخلية ، ولم تلبث أن ارتسمت خريطة أنيقة على شاشة الكمبيوتر الصغير ، وأشار إليها (نور) فى انفعال قوى ، وهو يهتف :

ـــ ها هو ذا مكان اللقاء المرتقب يا عزيزى (رمزى) .. (جبل موسى) فى شبه جزيرة (سيناء) .. هناك سيؤدى الرجل الخارق مهمته الموعودة .

ثم عاد يدير محرك سيارته الصاروخية ، وينطلق بها فى سرعة ، جعلت (رمزى) يهتف فى دهشة :

ـــ إلى أين يا (نور) ؟

هتف (نور) فى حماس :

ـــ لم تعد أمامنا إلا ساعتان فحسب يا صديقى ، ولابد لى أن أنطلق بأقصى سرعة ممكنة ، حتى أصل إلى (جبل موسى)

فى التاسعة والنصف ، ومن يدرى ؟.. ربما التقينا هناك بالرجل الخارق ، الذى نبحث عنه .

* * *

قاد (نور) سيارته الصاروخية بأقصى سرعتها ، عبر الطريق الخاص ، الذى يمتد من قلب القاهرة إلى قلب (سيناء) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، حتى غمغم (رمزى) فى توتر :

ـــ رويدك يا (نور) ، إنك تنطلق بسرعة خرافية .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ لابد أن نصل فى الموعد يا (رمزى) .

هز (رمزى) كتفيه ، وقال :

ـــ وما أدراك أن الموعد هو التاسعة والنصف اليوم ، وليس غدًا ؟

عاد (نور) يجيب فى هدوء :

ـــ سرعة (طارق) فى القرار .

مط (رمزى) شفتيه ، وقال :

ـــ لست أجد ذلك دليلًا كافيًا ، فمن الطبيعى لمن يفر من مكان ما أن ....

وفجأة .. بتر عبارته ، وصاح وهو يشير أمامه فى ذعر :

— احترس يا (نور) .. ستصطدم بهذا الرجل .

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهو يحدّق فى الرجل ، الذى برز فجأة من وسط رمال (سيناء) ، ووقف فى طريق السيارة ، رافعًا ذراعيه ، وملوّحًا بهما فى جدّة ..

وضغط (نور) كابح سيارته فى قوة ، وهو ينحرف بها متفاديًا الرجل ، واندفعت وسادة هوائية مضغوطة من أسفل السيارة ، وأجبرها اندفاع الهواء من عدة اتجاهات على الدوران حول نفسها ، مثيرةً عاصفة من الرمال ، قبل أن تتوقّف على بعد كيلومتر من الرجل ، وهتف (رمزى) ، وهو ينتظر انقشاع الرمال المتطايرة حول السيارة :

— يا إلهى !!.. لقد تصوّرت لحظة أننا سنرتطم به و ....

وبتر عبارته فجأة ، واشترك مع (نور) فى نظرة ذهول ، وجّهها كلاهما إلى الرجل ، الذى ظهر ملاصقًا للسيارة ، مع انقشاع الرمال ، وغمغم (نور) :

— كيف وصل إلينا بهذه السرعة ؟

أتاه الجواب على نحو مفاجئ مخيف ، فقد غرس الرجل أصابعه فجأة فى جسم السيارة الصاروخية ، المصنوع من مادة شديدة الصلابة ، وغاص فيه كما لو أنه قطعة من الزبد الطازج ،

ثم حمل السيارة كلها بذراعيه ، وألقى بها بعيدًا ، كما يلقى طفل صغير بحصاة دقيقة ، وهتف (رمزى) داخلها فى ذعر :

— يا إلهى !!.. ها هوذا (سوبرمان آخر) .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى ارتطمت السيارة بالأرض ، وتناثرت من حولها الرمال مرة أخرى ..

* * *

لولا حزاما الأمان اللذان يثبتان (نور) و (رمزى) فى مقعديهما ، لأصابهما ارتطام السيارة بالأرض إصابات خطيرة .. ولقد كان ذهولهما يكفى لإصابتهما بأضرار بالغة ، لولا أن انتزع (نور) نفسه منه فى سرعة ، وهتف وهو يجذب (رمزى) فى عجلة وحزم :

— أسرع يا (رمزى) ، قبل أن يشن هذا الخارق هجومه الثانى .

وانتزع كل منهما حزام الأمان ، وقفزا خارج السيارة فى سرعة ، وانطلقا يعدوان بعيدًا ، فى نفس اللحظة ، التى انقضّ فيها الرجل الخارق على السيارة ، وهوى عليها بقبضته فى قوة ، فشقها نصفين ، ثم رفع عينيه إلى حيث ينطلق (نور) و (رمزى) ، وانبعث من حدقتيه بريق شرس وحشى ، وكشر عن أنيابه فى قسوة ، وهو يغمغم :

ـــ مهما كانت العقبات .. مهما كانت العقبات ..

وفي نفس اللحظة ، كان (رمزى) يهتف في صوت لاهث :

ـــ لو أنه أرادنا ، فلن تكفى سرعة عدونا للفرار منه .

أجابه (نور) في حزم :

ـــ اخفض كلماتك يا (رمزى) ، فهو يسمع همسنا .

ثم دفع (رمزى) فجأة خلف أحد الكثبان الرملية ، وألقى جسده وراءه ، وأشار له أن يحبس أنفاسه ، فأشار (رمزى) بسبابته نحو المكان الذى يقف فيه ذلك الرجل الخارق ، وكأنه يقول في ذعر :

ـــ وماذا لو أنه لحق بنا ؟

أشار (نور) إلى النجوم ، التى تزين السماء المظلمة ، وإلى أذنيه ، وإلى الكثبان الرملية ، التى يختفيان خلفها ، وكأنه يجيب :

ـــ المنطقة مظلمة ، وهو لن يسمعنا ، لو أننا لم ننطق ، وظللنا مختفين خلف هذه الكثبان الرملية .

امتلأت نفس (رمزى) بالشك ، واختلس النظر من وراء الكثبان ، إلى الرجل فرآه يتلفت حوله في حيرة ، وكأنه عاجز عن العثور عليهما ..



وقفزا خارج السيارة في سرعة ، وانطلقا يعدوان بعيدًا ..

وتنهّد (رمزى) فى ارتياح ..

كان صوت تنهُّده خافتًا للغاية ، حتى أن (نور) سمعه فى صعوبة ، إلا أن الرجل الخارق أدار رأسه نحوهما فى حدّة ، كما لو أن صوت التنهدة الخافت ، قد قرع أذنيه فى قوة ، وعاد يكشر عن أنيابه فى شراسة ، ويتقدّم نحوهما ، فجذب (نور) (رمزى) من ذراعه ، وهو يهتف :

ـــ لم يعُد الاختفاء يجدى شيئًا يا صديقى .. هيّا بنا .

وما أن استدارا ، حتى تسمّرا فى مكانيهما ذُعرًا ودهشةً ، فقد وجدا أمامهما رجلين لهما نفس النظرات القاسية الشاردة ، وغمغم (رمزى) فى يأس :

ـــ لا فائدة .. لن ننجح أبدًا .

ولكن (نور) قفز نحو الرجلين فى بسالة ، وشعر (رمزى) بضربة قوية على رأسه ، أظلمت بعدها الدنيا أمامه ، وسقط فاقد الوعى ، وهو يتمتم فى ألم :

ـــ (نور) .. يا إلهى !!.. (نور) .

* * *

٦ ـــ صانع القوة ..

حينما انقضّ (نور) على الرجلين ، كان يعلم مسبقًا أن فرصة نجاته منهما لن تصل حتى إلى واحد فى المائة ، ولكنه كان يهدف إلى جذب انتباههما ، حتى يسمح لـ (رمزى) بالفرار .. ولكن (رمزى) سقط فاقد الوعى ، قبل أن يلكم (نور) أول الرجلين فى فكّه ، بكل ما يملك من قوة ...

وشعر (نور) أنه يلكم لوحًا من الفولاذ السّميك ، فى حين لم يتأثر الرجل بلكمته أبدًا ، بل أمسك وسط (نور) بكفّين كالصلب ، ورفع بطلنا عاليًا فى بساطة ، ثم قذف به إلى رفيقه ، الذى التقط (نور) بعضلات حديدية ، وطوّق وسطه بذراعيه ، ثم ضغط ضلوعه ..

وخُيّل لـ (نور) أن فكّىْ ونش ضخم تطبقان على صدره ، وتمنعان رئتيه من التمدُّد لاستيعاب الهواء الذى يحتاج إليه ، وحاول أن يقاوم فى يأس ، ثم لم يلبث أن رأى المشاهد أمامه تصطبغ بلون أحمر ، انتقل فى سرعة إلى الأسود ، ثم أخذ يلهث فى قوة ،

وساد الظلام من حوله تمامًا ، وبدا له وكأنه يهوى فى أعماق بئر لا قرار لها .. وغاب عن الوعى .

* * *

لم يدر (نور) كم ظل يهوى فى أعماق هذه البئر المظلمة ، ولكن عقله بدأ يستيقظ فى بطء ، وتسلّلت إلى مسامعه كلمات عجز عن تفسيرها للوهلة الأولى ، ثم لم يلبث أن تبيّن فيها صوت (رمزى) ، وهو يقول فى جزع :

ـ هيّا يا (نور) .. استيقظ .. هيّا .

وشعر بكفّ (رمزى) تربّت على وجنتيه فى رفق ، فغمغم دون أن يفتح عينيه :

ـ إننى أستيقظ يا (رمزى) .. اطمئن .

ثم أخذ يفتح جفنيه فى بطء ، ويتطلّع إلى الحجرة العارية ، الصغيرة ، التى يرقد على أرضيتها الباردة ، وحاول أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. ألم نقض نحبنا يا (رمزى) ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا فى قلق ، وقال :

ـ من العجيب أن هذين (السوبرمانين) ، قد اكتفيا بإفقادنا الوعى فحسب يا (نور) ، مع أن أيًا منهما كان قادرًا على اعتصار عنقينا بأطراف أصابعه .

اعتدل (نور) جالسًا ، وداعب مؤخرة عنقه بكفّه ، وهو يقول :

ـ يبدو أن أوامرهم كانت تقضى بإحضار المتسلّلين أحياء .

ثم انعقد حاجباه فجأة ، وكأنما تذكّر أمرًا ما ، وسأل (رمزى) فى اهتمام :

ـ قُل لى يا (رمزى) ، كيف منعت (طارق) من قتلى ، حينما هاجمنى فى الإدارة ؟

تطلّع إليه (رمزى) فى حيرة ، ثم قال :

ـ لست أدرى .. لقد تصوّرت أنه منوّم مغناطيسيًا ، فوجّهت إليه أمرًا بعدم القتل ، ومن العجيب أنه أطاعه .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ لماذا ؟.. أليس من الطبيعى أن يطيع الأوامر ، ما دام واقعًا تحت تأثير التنويم المغناطيسى .

هزّ (رمزى) كتفيه فى حيرة ، وقال :

ـ نعم .. ولكنه فى هذه الحالة يطيع صوت المنوّم المغناطيسى فقط ، وليس أيّة أوامر بأى صوت

رفع (نور) عينيه إلى أعلى ، وغمغم :

— هل تعنى أنه لم يكن فى حالة تنويم مغناطيسى بالمعنى المفهوم ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. المصطلح الأقرب إلى الحقيقة هو أنه كان مسلوب الإرادة .

وهنا انبعث من ركن الحجرة صوت هادئ رصين ، يقول :

— هذا صحيح يا فتى .. كلهم مسلوبو الإرادة .

التفت (نور) و (رمزى) فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، وانتبه كلاهما ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى وجود باب للحجرة فى هذا الركن ، وإن كان انتباههما كله قد تركّز على الرجل الضئيل ، العجوز ، ذى الوجه الشاحب النحيل ، والشعر الأشيب المتناثر بلا تنسيق ، والذى بدت ابتسامته مليئة بالثقة والخبث ، وهو يعقد كفّيه خلف ظهره ، ويقف أمامهما مرتديًا معطفًا أبيض اللون ، وهتف به (نور) :

— من أنت ؟

اتسعت ابتسامة الرجل ، وقال فى هدوء :

— أنا (إدمون غبريال) .. الدكتور (إدمون غبريال) يا فتى .. صانع كل هؤلاء الرجال الخارقين .. أنا صانع القوة .

* * *

عقد (نور) حاجبيه فى تساؤل ، وقد بدا له الاسم مألوفًا ، فى حين تراجع (رمزى) ، وهو يهتف فى دهشة :

— يا إلهى !!.. الدكتور (إدمون غبريال) .. كيف لم أتذكّره طوال الوقت ؟

سأله (نور) فى جدّة :

— هل تعرفه يا (رمزى) ؟

أشار (رمزى) إلى الرجل ، وهو يهتف فى انفعال :

— كان ينبغى لى أن أستنتج منذ البداية ، أنه المسئول عن كل هذا .. فالدكتور (إدمون) عالم لمع اسمه منذ عشر سنوات ، فى منتصف التسعينات من القرن العشرين ، حينما أعلن عن نظريته فى صنع (سوبرمان) العصر الحديث .

اتسعت عينا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

— يا إلهى !!.. لِمَ لم تقل ذلك منذ البداية يا (رمزى) ؟

بدا الحنق على وجه الدكتور (إدمون) ، وهو يقول :

— ربما لأن أحدًا لم يعد يذكرنى ، بعد عشر سنوات فى الظل يا فتى .

بدا التساؤل فى عينى (نور) ، فأسرع الرجل يستطرد ، وكأنه يرفض أن يجشّم (نور) مشقة السؤال :

— كانوا كلهم أغبياء .

ثم لوّح بذراعه فجأة ، وهو يكرّر فى سخط شديد :

— أغبياء .

واستعادت ملامحه هدوءها بغتة ، وهو يردف :

— لقد استمعوا إلى نظريتى عن مضاعفة القوى البشرية فى استهتار ، ثم سخروا منها فى النهاية .. أتدريان لماذا ؟

أجابه (رمزى) فى لهجة جافة :

— لأنها تسلب الإنسان قدرته على اتخاذ القرارات ، وتحوّله إلى طفل ضخم ، أو شبه آلة ، مهمتها طاعة الأوامر فحسب ..

لوّح الدكتور (إدمون) بيده مرّة أخرى فى عصبيّة ، وهو يهتف :

— هراء .. لقد أغاظهم تفوّقى عليهم ، وحسدوا ذكائى وعبقريتى .

وانقلبت سحنته على نحو عجيب ، وهو يقبض أصابعه ، مستطردًا فى لهجة أقرب إلى الجنون :

— لقد قضيت ثلاثين عامًا من عمرى ، بحثًا عن عقّار القوة ، الذى تمتصه الخلايا البشرية ، فيزداد ترابطها ، وتماسكها بعضها ببعض ، وتصبح أكثر صلابة من الفولاذ ، كما تتضاعف

القوة عشرات المرات ، ويصبح لدينا (سوبرمان) حقيقى ، ينافس ذلك الوهمى ، فيما عدا قدرته على الطيران .

ثم قلب شفتيه فى ازدراء ، وهو يردف :

— وككل عقّار فى الدنيا ، كان لعقّارى أعراض جانبية تافهة ، صوّرها هؤلاء الحاسدون على أنها أكثر خطورة من فائدة العقّار نفسه .

غمغم (رمزى) فى حنق :

— ما زلت أوافقهم على رأيهم .

تجاهل الدكتور (إدمون) عبارة (رمزى) تمامًا ، وتابع فى حدّة :

— الخلايا المعالجة بعقّارى تحتاج إلى أقل من الدماء ، حتى لا تظل ليّنة كعادتها .. والعقّار يعالج ذلك برفع نبضات القلب إلى سبعمائة دقّة فى الدقيقة الواحدة .. ثم إن خلايا المخ تزداد صلابة بدورها ، فيعجز متعاطى العقّار عن التفكير على نحو منسّق ، وإن كانت استجابة أعصابه ترتفع إلى درجة كبيرة .. وهذا المزيج يجعله مقاتلاً لا يشق له غبار ، ولكنه يحتاج دائمًا إلى قائد يوجّهه .

تمتم (نور) فى سخرية :

— تماما كالآلة .

ابتسم الرجل فى برود ، وقال :

— وما عيب الآلات ؟.. إنها تطيع الأوامر دون اعتراض ، ودون تغيير فى الخطة الأساسية .. إنها أفضل الوسائل للقتال .

أجابه (نور) فى برود مماثل :

— هذا لو افترضنا أن قائدها لا يخطئ أبدا ، وهذا مستحيل بالنسبة للبشر .

تألقت عينا الدكتور (إدمون) ، وهو يقول :

— ها أنتذا قد قلتها .. من المستحيل بالنسبة للبشر ألا يخطئ ، وهذا لا ينطبق على الآلات .. فهى تنفذ البرنامج الخاص بها دون خطإ واحد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

— ودون أى تعديل فى البرنامج ، إذا ما اقتضت الظروف .

لوّح الدكتور (إدمون) بذراعه فى لامبالاة ، وقال :

— إنك لا تحتاج إلى تعديل البرنامج ، ما دمت قد حسبت حساب كل شىء .

هتف (رمزى) فجأة فى حنق :

— ولِمَ يحتاج المرء إلى رجال خارقى القوة ، مسلوبى الإرادة ؟

برقت عينا الدكتور (إدمون) ببريق جنونى ، وهو يقول فى شهوة عجيبة :

— يحتاج إليهم ليفعل مثلى أيها الشاب .. ليحكم العالم .

* * *



٧ — العالم فى قبضة مجنون ..

اتسعت عينا (رمزى) فى ذهول ، وهو يتراجع فى ذُعر ، أمام تصريح الدكتور (إدمون) الخطير ، فى حين اكتفى (نور) بهمهمة ساخطة ، قبل أن يقول فى حِدّة :

— هل تحب أن تضيف اسمك إلى قائمة المجانين ، الذين قضوا نحبهم ، وهم يحلمون بالسيطرة على العالم ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

— بل أحب أن يكون اسمى على رأس قائمة الذين نجحوا فى السيطرة على العالم ، ويليه أسماء من أعجزهم ذلك .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— من تظن نفسك حتى تمنح وتمنع ؟.. إن عقارك هذا أتفه مما تتصوّر .. صحيح أنه يمنح متعاطيه قوة خرافية ، ولكنه يسلبه نعمة العقل والتفكير ، وهذا يحرمه آدميته .

مطّ الدكتور (إدمون) شفتيه ، وهزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— العقّار يمكن تطويره ، بحيث يتغلّب على هذا العرض الجانبى التافه .

هتف (رمزى) فى استنكار :

— تافه ؟!

أوقفه الدكتور (إدمون) بإشارة من يده ، ومنعه من الاستطراد فى الحديث ، ثم قال فى هدوء :

— إننى لم أضيع هذه السنوات العشر ، التى قضيتها بمعزل عن العالم ، هباءً .. فلقد نبذت ذلك المجتمع العلمى ، الذى سخر من أبحاثى ، وعكفت على تطوير عقّارى وتحسينه حتى وصلت به إلى درجة رائعة .

وابتسم ، وكأنما يهنئ نفسه على عبقريته ، ثم استطرد فى فخر :

— إننى أستطيع منح القوة الآن ، والسيطرة على العقل فى آن واحد ، كما أننى نجحت فى ....

وبتر عبارته فجأة ، وكأنه شعر بخطأ كشف كل أوراقه ، وعاد يبتسم فى خبث ، ويقول :

— ولكن العقّار لا يصلح لأى إنسان .. إنه ....

قاطعه (نور) فى هدوء :

— للأذكياء فقط .

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يحدق فى وجه (نور) بدهشة ، ثم سأله فى انفعال :

— كيف عرفت ؟

مطّ (نور) شفتيه بدوره ، وقال فى هدوء :

— كان من السهل استنتاج ذلك . عندما ....

وتوقفت الكلمات عند حلقه لحظة ، ثم ابتسم فى غموض ، وهو يستطرد :

— عندما فكّرت فى أن العقار يهبط بنسبة الذكاء كثيرًا ، وأنه يحتاج إلى شخص حاذُ الذكاء ، حتى يمكن للعقّار أن يمنحه القوة ، دون أن يصل بعقله إلى مرحلة البلاهة .

ابتسم الدكتور (إدمون) ابتسامة تفيض بالخبث والغموض ، وهو يغمغم :

— هذا صحيح أيها الشاب .. إن عقّارى يحتاج إلى شخص حاذُ الذكاء .

ثم أردف فى سخرية :

— شخص مثلك .

هتف (رمزى) فى توتُّر :

— ماذا تعنى ؟

ابتسم الدكتور (إدمون) فى دهاء ، وقال :

— أعنى أن زميلك سيكون أفضل عيّنة ، أجريت عليها تجاربى .. وبعد ساعة واحدة من الآن ، سينضم إلى أتباعى الخارقين .

* * *

بدا وجه (نور) باردًا ، وهو يقول فى هدوء :

— ومن قال إننى سأسمح لك بهذا ؟

ابتسم الرجل فى سخرية ، وقال :

— إننى لن أستأذنك بالطبع .. فهناك مائتا رجل خارق ، يمكنهم إجبارك على ذلك .

أطرق (نور) بوجهه أرضًا ، وظل هكذا بضع لحظات ، قبل أن يقول فى هدوء :

— وهل تناولت أنت أيضًا عقّار القوة هذا يا دكتور (إدمون) ؟

بدا الأسف على وجه الرجل ، وهو يقول :

— كنت أتمنى ذلك يا فتى ، ولكن قلبى المريض لن يحتمل ارتفاع نبضاته إلى سبعمائة نبضة فى الدقيقة الواحدة .

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وابتسم وهو يقول فى ارتياح :



واختفى الدكتور (إدمون) ، أو تلاشى ، فى حين ارتفعت ضحكة ساخرة فى أرجاء الحجرة الصغيرة ..

ــ وهل لدى رجالك الخارقين أمر بقتلك أنت ، إذا ما تعرّضوا هم للخطر ؟

ارتفع حاجبا (إدمون) فى دهشة ، وهو يهتف فى استنكار :

ــ كلّا بالطبع .

ثم عاد يعقد حاجبيه ، ويغمغم فى قلق :

ــ ولكن ماذا تعنى كل هذه الأسئلة ؟

قفز (نور) نحوه فجأة ، وهو يهتف فى حزم :

ــ يعنى أنك ستكون وسيلة نجاتنا من هنا أيها المغرور

ولكن ذراعا (نور) أحاطتا بالفراغ ..

الفراغ فقط ..

واختفى الدكتور (إدمون) ، أو تلاشى ، فى حين ارتفعت ضحكة ساخرة فى أرجاء الحجرة الصغيرة ، وهتف (رمزى) فى ذهول :

ــ أين ذهب ؟.. هل .... هل .... ؟

أتاهما فجأة صوت الدكتور (إدمون) ، من الركن الآخر للحجرة ، يقول فى هدوء ساخر :

ــ هأنذا أيها الفتيان .

التفتا إليه فى حدّة وتوتّر ، وتطلّعا إليه فى دهشة وحيرة ، فلوّح بذراعه ، وهو يقول فى سخرية :

ــ عقّار القوة ليس اختراعى الوحيد .

انقضّ (نور) عليه فجأة ، وكأنه لم يتعلّم من المحاولة السابقة ، واختفى العالم مرة أخرى ، وارتج المكان بضحكته الساخرة الشامتة ، قبل أن يظهر فى ركن ثالث ، ويقول :

ــ أنت لا تتعلّم أبدًا أيها الرائد .

ابتسم (نور) ، وتألّقت عيناه ، وهو يقول :

ــ بل لقد هاجمتك فى المرّة الثانية لأتعلّم أيها المخادع .

ثم عاد يعقد ساعديه أمام صدره ، ويلتفت إلى (رمزى) ، قائلًا :

ــ يبدو أننا لم نلتق بالدكتور (إدمون) أبدًا يا عزيزى (رمزى) .. فنحن نتحدّث طوال الوقت إلى صورته الهولوجرافية المجسّمة .

ساد الصمت لحظة ، و (رمزى) يحدّق فى الصورة الهولوجرافية بدهشة ، ثم فُتح الباب الجانبى للحجرة ، وظهر على عتبته الدكتور (إدمون) الحقيقى ، وحوله ثلاثة من أتباعه الخارقين ، وتأمّل (نور) و (رمزى) لحظة فى اهتمام ، ثم قال فى هدوء :

ــ لقد نجحت فى الاختبار الثانى أيها الرائد ، وهذا يكفى لإخضاعك لعقّارى الجديد ، وأعتقد أن زميلك يصلح أيضًا .

تراجع (نور) و (رمزى) إلى الحائط فى بطء ، وقال (نور) فى صرامة :

ــ لن نستسلم أيها المجنون .

عقد الدكتور (إدمون) حاجبيه فى غضب ، وأشار إلى رجاله الثلاثة ، قائلًا فى حدّة وصرامة :

ــ أحضروهما إلى حجرتى .

وإثر أمره ، تحرّك الخارقون الثلاثة ، نحو (نور) و (رمزى) .

* * *



٨ ـ القتـال ..

تراجع (نور) و (رمزى) حتى التصقا بالحائط ، والخارقون الثلاثة يتقدمون منهم فى بطء ، وغمغم (رمزى) :

ـ ألا تظن أنه من الحماقة مقاتلتهم ؟

تمتم (نور) فى حزم :

ـ بل من الحماقة أن نستسلم دون مقاومة .

اكتسبت ملامح (رمزى) بالصلابة ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .

ثم هتف (نور) فجأة :

ـ الآن .

وفى لحظة واحدة ، وبتجاوب رائع ، انطلق كل منهما فى اتجاه مخالف للآخر ، بحيث قفز (نور) إلى يسار الخارقين ، و (رمزى) إلى يمينهم ، وانطلقا يعدوان نحو الدكتور (إدمون) ، الذى تراجع فى ذعر ، وهو يهتف :

ـ كلا .. كلا .. إن أتباعى ....

وقبل أن يتم عبارته ، كان (نور) قد طوق عنقه بذراعه ، ولوى ذراع العالم اليمنى خلف ظهره ، وهو يقول فى قوة :

ـ أتستسلم أيها الوغد ، أم أحطم عنقك ؟

صرخ الدكتور (إدمون) فى جنون :

ـ مُحال .. مُحال أن أخسر كل شىء بسببكما .. مُحال .

شدد (نور) من ضغط ذراعه على عنق العالم ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هل تفضل تحطيم عنقك إذن ؟

كان الخارقون الثلاثة ، يتطلعون إلى ما يحدث فى تردد ، وقد اختلطت فى أذهانهم أوامر إحضار (نور) و (رمزى) ، مع أوامرهم المسبقة بضرورة حماية الدكتور (إدمون) ، الذى كان يهتف فى صوت غاضب مختنق :

ـ حطم عنقى إن أردت ، ولكننى لن أستسلم .

وفجأة .. سمع (نور) شهقة مكتومة من (رمزى) خلفه ، وأراد أن يستدير إليه فى جزع وسرعة ، ولكن كفين فولاذيتين أحاطتا بجانبى وجهه ، وأمسكت قبضة حديدية بذراعه من خلف ظهره ، وحررت الدكتور (إدمون) ، ثم رفع أحد

الخارقين (نور) من رأسه . وضغط جانبى جمجمته فى قوة ، وشهق (نور) فى ألم ، ثم غاب عن الوعى .

* * *

كانت ردهة فسيحة تلك التى قابلت عينى (نور) ، حينما استعاد وعيه ..

ردهة مضاءة بأضواء هادئة ، تبعث على الارتياح ، وتمتلئ جدرانها بأحدث أجهزة القياس والتحاليل ، ووسطها امتدت مائدتان ، قُيِّد (نور) على إحداهما ، واستلقى (رمزى) على الأخرى ، وإلى جوار مائدة (نور) ، وقف الدكتور (إدمون) ، ممسكًا بمحقن من البلاستيك الشفَّاف ، يمتلئ بمادة غريبة ، لها لون فسفورى لامع ، وإلى جواره وقف اثنان من أتباعه الخارقين ، ولدهشة (نور) ، كان أحدهما المهندس (طارق) ..

والتفت الدكتور (إدمون) نحو (نور) ، وابتسم فى شماتة ، وهو يقول :

ـ هأنذا قد استعدت وعيك أخيرًا أيها المقاتل .. كيف حالك ؟

قلَّب (نور) شفتيه فى سخرية ، وقال :

ـ هل تتصوَّر أننى سأجيبك بأننى فى خير حال ؟

ابتسم الدكتور (إدمون) ، وقال :

ـ إنك لم تكن تتوقَّع هجومًا من الخلف .. أليس كذلك ؟!

أجابه (نور) فى برود :

ـ بلى .. فهذا من شيم الخونة .

ضحك الدكتور (إدمون) فى سخرية ، وقال :

ـ لا تحاول مداراة هزيمتك .. إنك حتى لن تشعر بها ، بعد أن أحقن عقَّار القوة فى عروقك .

ثم رفع المحقن الممتلئ بالمادة الفسفورية الخضراء ، أمام عينى (نور) ، وهو يستطرد فى فخر :

ـ خمسة سنتيمترات مكعَّبة من هذا العقَّار فى عروقك ، ستضمن ولاءك لى لمدة ثلاثة أيام على الأقل ، وبعدها ستحتاج إلى سنتيمتر واحد ليجعلك تركع عند قدمىَّ لعشرة أيام كاملة ، وبعده نصف سنتيمتر ، لأمتلك إرادتك إلى الأبد .. إنه تأثير متضاعف تجميعى ، كما يحدث لمدمنى المخدرات يا فتى .

واقترب بإبرة المحقن من الوريد العضدى لـ (نور) ، وهو يقول :

ـ ستشعر ببعض الآلام فى البداية ، حينما تتسلَّل المادة إلى

خلاياك عَبْر عروقك .. وسيبدو لك وكأن جسدك يحترق ، وسيتضاعف نبض قلبك جدًا ، ولكن كل شىء سيعتدل بعد نصف ساعة فقط ، وستصبح ملكًا لى .

وانحنى نحو (نور) ، وهو يستطرد فى شماتة :

ــ وداعًا لإرادتك أيها الرائد ، ومرحبًا بك فى جيش الخالدين .

* * *

كانت قيود (نور) متينة ، لا تسمح له بالتحرك ، وكانت سِنّ إبرة المحقن تقترب من جسده فى هدوء وثقة ، وبدا وكأن النهاية قادمة لامحالة ..

وفجأة .. تذكّر (نور) أمرًا غاب عن ذهنه لحظات ..

وفجأة أيضًا .. صاح فى لهجة آمرة صارمة :

ــ حطِّم المحقن .. حطِّمه .

واتسعت عينا الدكتور (إدمون) فى دهشة .. وقبل أن يفهم مايقصده (نور) ، انقضّ (طارق) على المحقن ، الذى يمتلئ بالمادة الفسفورية ، وضربه براحته فى قوة ، فطار المحقن ، وارتطم بالحائط ، وتناثرت أجزاؤه ، وسالت المادة الفسفورية على الأرض ، ثم عاد (طارق) يقف هادئًا ، وكأنه لم يفعل شيئًا ، فى حين صرخ الدكتور (إدمون) فى غضب ساخط :



انقضّ (طارق) على المحقن الذى ، يمتلئ بالمادة الفسفورية ، وضربه براحته فى قوة ، فطار المحقن ، وارتطم بالحائط ..

— ماذا فعلت أيها الأحمق ؟

ابتسم (نور) ، وقال فى سخرية :

— هذا أحد العيوب فى عقارك أيها العالم الأحمق ، فأتباعك يطيعون كل الأوامر الصادرة إليهم ، مادامت لاتتعارض مع أوامر سابقة ، أو مع ضرورة حمايتك .. ولقد حطّم (طارق) المحقن ، دون أن يمسّك بسوء ، مطيعًا أوامرى .

عقد الدكتور (إدمون) حاجبيه ، وغمغم فى دهشة :

— (طارق) ؟! .. إذن فأنت تعرفه !! .. لقد كنت أتساءل كيف وصلتما إلى هنا ؟ وكيف عرفتما بأمر رجالى الخارقين ؟. وأعتقد أن معرفتك بـ (طارق) تجيب عن كل هذه التساؤلات .

ثم اعتدل ، وعقد كفّيه خلف ظهره ، وهو يقول :

— شكرًا لكشف أوراقك أيها الرائد .. إن محاولتك لم تسفر إلا عن إضاعة بعض الوقت فحسب .. فالمصل يمكن إحضار غيره ، ولن تنتصر أبدًا .

والتفت إلى (طارق) ، وزميله الخارق ، وقال فى لهجة آمرة صارمة :

— سأتغيب لعشر دقائق فحسب ، احرصا على ألا يفلت هذا الرجل منكما أبدًا .

* * *

لم يكد الدكتور (إدمون) يغادر الحجرة ، حتى التفت (نور) إلى (طارق) ، وقال فى لهجة آمرة :

— أطلق سراح زميلى .

تحرّك (طارق) فى هدوء إلى حيث يرقد (رمزى) ، وحلّ وثاقه ، ثم وقف ينتظر أوامره ، فقال (نور) :

— ساعده على استعادة وعيه .

أخذ (طارق) يربّت على وجنتى (رمزى) فى رفق ، حتى فتح عينيه ، وتطلّع إليه فى ذهول ، وهو يهتف :

— يا إلهى !! .. ماذا يحدث هنا ؟

أتاه صوت (نور) ، يقول فى لهفة :

— أسرع يا (رمزى) .. حلّ قيودى .

تلفّت (رمزى) حوله فى مزيج من الدهشة والحيرة ، ثم قفز إلى حيث يرقد (نور) ، وأخذ يحل وثاقه فى عجلة ، وهو يسأله :

— ماذا يحدث بالله عليك ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— هذا الوغد أمر رجليه بعدم السماح لى بالإفلات ، ولكنه لم يوجه إليهما أية أوامر بشأنك .. لذا فقد أمرت (طارق) بإطلاق سراحك ، ما دام هذا لا يتعارض مع أوامر (إدمون) له ، وبعدها جعلتك تحل قيودى ، و....

قاطعه (رمزى) فى توتر :

— ولكنهما لن يسمحا لك بالنهوض من المائدة ، بحسب الأوامر الصادرة إليهما .

ابتسم (نور) ، وهو يتحسس معصميه ، بعد أن حل (رمزى) قيوده ، وقال فى هدوء :

— لا تقلق يا صديقى ، سأشغلهما بمهمة معقدة .

ثم صاح فى لهجة آمرة :

— فليقاتل كل منكما رفيقه .

التفت الخارقان إلى بعضهما البعض ، ثم التحما فجأة فى قتال عنيف ؛ فقفز (نور) من فوق المائدة ، وهتف :

— هيا يا (رمزى) .. سنحاول الابتعاد عن هنا بقدر الإمكان .

وانطلقا إلى خارج الحجرة ، وأخذا يعدوان فى ممر طويل ، تمتد منه عشرات الممرات فيما يشبه شبكة العنكبوت ..

* * *

مضت عشر دقائق ، وهما يعدوان من ممر إلى آخر ، داخل تلك الشبكة المعقدة ، قبل أن يتوقف (رمزى) ، ويلوح بيده ، وهو يلهث قائلاً :

— يخيل إلىّ أننا ندور فى حلقة مفرغة يا (نور) ، فكل الممرات والطرقات تبدو متشابهة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— لا ريب أنه يوجد مخرج ما يا (رمزى) .

صاح (رمزى) فى حنق :

— ولكن أين ؟

غمغم (نور) :

— لابد أن نحاول البحث يا (رمزى) .

وفجأة .. ارتفع صوت (إدمون) مليئاً بالغضب ، عبر مكبرات صوت منتشرة فى كل مكان ، وهو يقول فى صرامة :

— إلى جميع الخارقين .. منذ هذه اللحظة لن تطيعوا إلا صوتى وأوامرى .. أكرر .. لن تطيعوا إلا صوتى وأوامرى . هناك عدوان داخل المنطقة رقم (سبعة) ، فى شبكة الأمن .. أريد منكم أن تطبقوا عليهما ، وتمزقوهما إرباً .. أكرر .. مزقوهما إرباً .

* * *

٩ ـ الذكاء والقـوة ..

هتف (رمزى) فى توتُّر :

ـ يا إلهى !!.. لقد قرَّر القضاء علينا .

صاح (نور) فى صرامة :

ـ عليه أن يُوقع بنا أولًا يا (رمزى) .

ثم أشار إلى ممرٍّ جانبىّ ، وقال :

ـ هيَّا .. سنتخذ هذا الطريق .

وانطلقا يعْدوان عبْر ذلك الممرّ ، دون أن يتخذا هدفًا ، حتى هتف (رمزى) :

ـ لا أمل يا (نور) ، لا أمل .

ولكن (نور) أشار فجأة إلى حجرة جانبية ، تبدو من بعيد ، وصاح :

ـ بل هناك أمل يا (رمزى) .

واستمر فى عدْوه ، و (رمزى) يلحق به ، حتى وصلا إلى الحجرة ، فغمغم (رمزى) وهو يلهث فى شدَّة :

ـ هل كنت تعنى هذا الباب ، بالأمل الذى أشرت إليه ؟

أجابه (نور) :

ـ نعم .

زفر (رمزى) ، وهو يقول :

ـ وما أدراك ما سنجده خلف هذا الباب ؟.. ألا يحتمل أن يكون ما خلفه أكثر خطورة مما نتعرَّض له ؟..

ارتفع فى هذه اللحظة صوت أقدام الخارقين ، وهى تقترب فى سرعة ، فدفع (نور) باب الحجرة ، وهو يقول فى حسم :

ـ ربَّما يا (رمزى) .. ولكن لم يعد أمامنا مجال للاختيار .

وفى سرعة وحسم ، قفز كلاهما إلى الحجرة ، وأغلقا بابها خلفهما فى إحكام .

* * *

وقف (نور) و (رمزى) لحظة ، يتطلَّعان فى دهشة إلى محتويات الحجرة ، التى سجنا نفسيهما فيها باختيارهما ، فرارًا من مطاردة الخارقين ، ثم قال (نور) :

ـ إنها الآلات الخاصة بتوليد الكهرباء .

دار (رمزى) ببصره فى أنحاء المكان ، قبل أن يغمغم فى توتُّر :

— لا توجد هنا إلا فتحة واحدة للتهوية ، وسيطبق علينا الخارقون بعد لحظات ، وستكون نهايتنا فى حجرة توليد الكهرباء .

تألقت عينا (نور) فجأة ، وأمسك ذراع (رمزى) فى قوة ، وهو يقول :

— الكهرباء !! نعم يا (رمزى) .. إنها الأمل الوحيد !!

سأله (رمزى) فى توتر :

— ماذا تعنى يا (نور) ؟

هتف (نور) فى انفعال :

— هل تذكر ما تفعله الكهرباء يا (رمزى) ؟.. إنها ترفع عدد ضربات القلب فى شدة ، حتى أنها قد تؤدى إلى توقف القلب ، مع السرعة الخارقة ، التى تهتز بها جدرانه ، حينما تبلغ سرعة نبضاته ما يقرب من ألف نبضة فى الدقيقة الواحدة .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يغمغم :

— هل تعنى أنك ....؟

قاطعه (نور) فى حماس :

— نعم يا (رمزى) .. إن قلوب هؤلاء الخارقين تنبض بسرعة سبعمائة دقة فى الدقيقة ، ما بالك لو أصابها تيار كهربى ،

ثم ابتسم فى غموض ، وهو يقول :

— ثم إن التيار الكهربى يرفع إفراز الغدة فوق الكُلوية لمادة الأدرينالين .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يسأله فى حيرة :

— وماذا يعنى هذا ؟

ازدادت ابتسامة (نور) غموضًا ، وهو يقول :

— يعنى أن المعركة ستتخذ اتجاهًا مخالفًا يا (رمزى) .. ستصبح معركة الذكاء ضد القوة .. ولنر أيهما ينتصر .

* * *

لم يحتمل باب حجرة توليد الكهرباء أكثر من ضربتين ، من ضربات الخارقين ، ثم سقط محطمًا ، على الرغم من أنه مصنوع من الفولاذ ، بسمك ثلاثة سنتيمترات ، واندفع (الخارقون) داخل الحجرة ، وهم يزمجرون فى شراسة ، ولكن الحجرة بدت خالية تمامًا ، فدارت عيونهم داخلها فى حيرة ، ثم تركزت أبصارهم على الغطاء الشبكى المعدنى لممرات التهوية ، فاندفعوا نحوه ، وأمسكه أحدهم ، وانتزعه فى قوة ، ثم ارتجف جسده فى قوة ، وأطلق صرخة عالية ، انتقلت للمحيطين به ، بسبب تلاصقهم وتدافعهم ، الذى جعل التيار الكهربى القوى يسرى

في أجسادهم ، في الوقت الذي كان (نور) و (رمزي) فيه يزحفان داخل ممرّ التهوية ، والأخير يقول :

ـــ من حسن الحظ أن الممرّ نفسه مصنوع من الخشب ، والأسرى التيار الكهربي ، الذي أوصلناه بغطاء فتحة التهوية ، في أجسادنا .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ إنه توفيق من الله (سبحانه وتعالى) .. وأرجو أن يستمر توفيقه لنا (سبحانه) ، حتى يتم الجزء الثاني من الخطّة بنجاح .

تنهّد (رمزي) ، وقال :

ـــ المهم أن ننجح في الوصول إلى معمل ذلك المجنون .

غمغم (نور) ، وهو يواصل زحفه ، داخل الممر الضيّق :

ـــ سنصل إليه يا (رمزي) .. سنصل إليه بإذن الله .

وفي نفس اللحظة ، كان الدكتور (إدمون) يكاد يشيط غضبًا ، وهو يضرب الأرض بقدميه في غيظ ، كما يفعل الأطفال ، ويصرخ في جنون :

ـــ لقد اختفوا .. اختفوا بعد أن هزموا ثلاثين من أتباعي .. لن أغفر لهم ذلك .

ثم أسرع إلى شاشة كمبيوتر ، فأضاءها ، وتطلّع إليها في اهتمام ، قبل أن يشير إلى نقطتين مضيئتين ، تتحرّكان عَبْر الشاشة في بطء ، ويقول في قسوة :

ـــ إذن فقد اخترقتما ممرّات التهوية للتسلُّل عَبْر طرقات مخبئي .. يا لكما من ساذجين !!

وضغط زرًّا صغيرًا إلى جواره ، وهو يستطرد في شراسة :

ـــ فلتكن نهايتكما في المكان الذي اخترتماه إذن .

* * *

واصل (نور) و (رمزي) زحفهما داخل الممرّات الضيّقة ، إلى أن غمغم (رمزي) :

ـــ إنني أكاد أختنق .. أيّة ممرّات تهوية هذه ، التي تخلو من الهواء على هذا النحو ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ أنت على حقّ يا (رمزي) ، فالهواء يبدو لي فاسدًا و ....

وفجأة .. بتر (نور) عبارته ، وأشار إلى نقطة داخل الممرّ ، وهو يقول :

ـــ يا إلهي !! يبدو أن مخبأنا قد اكتشف بسرعة يا (رمزي) ، فكل فتحات ممرّات التهوية مسدودة .

ارتجف جسد (رمزى) ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ ولكن لماذا ؟

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يتمتم فى قلق :

ـ ربما يريد هذا الوغد أن يخنقنا لنقص الأكسوجين .. أو ....

وفجأة .. تناهى إلى مسامعهما صوت يشبه أمواج البحر ، واتسعت عيونهما فى ذعر ، وهتف (رمزى) :

ـ يا إلهى !!.. إنه سيغرقنا داخل الممرات الضيقة المغلقة .. سيغرقنا كما يفعلون بالفئران .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى غمرتهما مياه مالحة ، داخل الممرات الضيقة ..

* * *

١٠ ـ بلا هواء ..

غمرت المياه (نور) و (رمزى) فى سرعة ، وقبل أن يتخذ أيهما حيطته ، أو يدخر فى رئتيه بعض الهواء ، دفعتهما المياه عبر ممرات التهوية ، وجعلتهما يرتطمان بجدرانها فى قوة . وشعر (رمزى) بصدره يكاد ينفجر ، وبكف (نور) تقبض على كفه فى قوة ، وكأنه يخشى أن تباعد المياه المندفعة بينهما ، أما (نور) ، فقد كان يحاول إيقاف اندفاعهما فى إصرار ، خوفًا مما قد يجرفهما إليه التيار ..

وأخيرًا .. نجح (نور) فى التشبث بقطعة معدنية ، وارتطم به جسد (رمزى) فى قوة ، وتخيل لـ (نور) أن رئتيه ستنفجران كبالون مطاطى رقيق ، وسط المياه التى تغمره ، والتوتر العصبى الذى يمر به ، ولكنه قاوم هذا الشعور ، واستند بظهره إلى جدار الممر ، وأخذ يدفع غطاء فتحة التهوية المغلقة ، المقابلة له بقدميه .. ولم يلبث (رمزى) أن انضم إليه وأخذ كلاهما يضرب غطاء الفتحة المغلقة بقدميه ، حتى انكسر الغطاء ، وهوى ..



دفعتهما المياه عبر ممرّات التهوية ، وجعلتهما يرتطمان بجدرانها فى قوة ..

وبتحطم غطاء فتحة التهوية ، اندفعت المياه خارج الممرّات الضيقة ، إلى الحجرة الواسعة التى تطلّ عليها فتحة التهوية ، وملأ (نور) و (رمزى) صدريهما بالهواء فى لهفة ، قبل أن يهتف (رمزى) :

— يا إلهى !!.. لم أصدّق أبدًا أننا سننجو .

أجابه (نور) فى صوت لاهث :

— إننا لم ننج بعد يا (رمزى) .

ثم أسرع يتسلّل عبْر فتحة التهوية ، إلى داخل الحجرة ، التى بدت كمعمل كيميائى صغير ، وتبعه (رمزى) ، ووقف كلاهما يتطلّع إلى المكان لحظة ، ثم قال (نور) :

— يبدو أن هذا هو المكان ، الذى يعدّ فيه ذلك الوغد عقّاره .

جاء من خلفهما صوت الدكتور (إدمون) ، يقول فى هدوء :

— هذا صحيح يا فتى .. هنا أصنع عقّار القوة .

* * *

يبدو أن كثرة المفاجآت تفقدها قيمتها ، أو أن التعرّض باستمرار للخطر ، يفقد المرء شعوره بالخوف ، فلا يعود يبالى بأيّة مخاطر أو مفاجآت ..

فقد استدار (نور) و (رمزى) فى هدوء إلى حيث يقف الدكتور (إدمون) ، محاطًا بخمسة من الخارقين ، وقال (رمزى) فى بساطة عجيبة :

— هنا إذن تبدأ رحلة السيطرة على العالم .

ابتسم الدكتور (إدمون) ، وقال وهو يومئ برأسه فى هدوء :

— هذا صحيح يا فتى .. هنا أبدأ أعظم اختراع فى التاريخ .

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

— ولكن عقارك لم يكتمل بعد يا دكتور (إدمون) ، فرجالك الخارقون يستعيدون آدميتهم ، إذا ما تعرض أيهم لخطر حقيقى .

عقد الرجل حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حدّة :

— ومن أدراك بذلك ؟

تجاهل (نور) العبارة الغاضبة ، وقال وكأنه يواصل حديثه :

— وخاصة إذا ما تسبّب الشعور بهذا الخطر فى إفراز الغدة فوق الكلوية ، لمادة الأدرينالين .

اتسعت عينا الرجل ، وسقطت فكه السفلى فى ذهول ، وهو يهتف :

— كيف عرفت هذا بحق الشيطان ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

— حينما قابلت (طارق) لأول مرة ، تصرّف بسرعة استجابة مذهلة ، لإنقاذ ابنتى من حادث كاد يودى بحياتها .. ونظرًا لأنه كان تحت تأثير عقارك فى هذه اللحظة ، ولمّا كان هذا يجعل استجابته ضعيفة ، ما لم يتلقَّ أمرًا مباشرًا بذلك ، فقد قدّرت أن الأدرينالين ، الذى أفرزته غدته فوق الكُلوية ، حينما شاهد الخطر المُحدق بابنتى ، هو الذى انتزعه من سيطرتك ، وأعاد إليه بعض آدميته ، حتى عدت أنت تسيطر عليه مرة أخرى ، حينما هبطت نسبة الأدرينالين فى دمه ، إلى النسبة الطبيعية .

عضّ العالم شفتيه فى قوة ، وهو يغمغم :

— أنت ذكى .. ذكى بحق .. ولكن مشكلة الأدرينالين هذه يمكن حلها ، إذا ما حقنت متعاطى العقار بمادة مضادة له .

ثم اكتنفته ثورة مفاجئة ، وهو يهتف :

— كل شىء يمكن معالجته .. ولا شىء سيقف فى سبيل سيطرتى على العالم .

وانعقد حاجباه فى شدة عجيبة ، وتقلّصت عضلات وجهه فى شكل أقرب إلى الجنون ، وهو يضم قبضته ، ويهتف فى غضب :

— هل تعلمان لماذا قضيت عمرى كله بحثا عن عقّار القوة ؟

كان يتوقع فضولهما وتساؤلهما ، ولكن الدهشة غمرت وجهه كله ، كما غمرت وجه (نور) ، حينما أجاب (رمزى) فى هدوء :

— لأن رفاقك كانوا يسخرون من ضآلتك وضعفك فى طفولتك .

ارتعشت شفتا الرجل ، وحاول أن يبتسم فى سخرية ، ولكن ابتسامته سقطت من بين شفتيه ، وهو يغمغم فى صوت مضطرب :

— أى هراء هذا ؟

ولكن (رمزى) استطرد فى هدوء ، وثقة :

— منذ طفولتك وأنت تشعر بالضعف والضآلة ، وسخرية

رفاقك من صغر حجمك ، جعلت الأمر يتحوّل عندك إلى عقدة نفسية ، فأخذت تبحث عن التفوّق والقوة ، وحينما ركزْت أبحاثك فى البحث عن عقّار القوة ، كنت تتمنّى أن تكون أول من يتناوله ، حتى تثبت للجميع أن جسدك الضئيل يحمل قوة (سوبرمان) ، فلا يعود أحد يسخر من ضآلتك أبدا ..

ولكن نتائج العقار جاءت مخيّبة للرجاء ، بالنسبة للقوى العقلية ، ولم يكن من السهل عليك أن تضحّى بعقليتك ، فى مقابل قوة جسمانية ، ولكنك قرّرت أن تعرض عقّارك على العالم أجمع ، فى محاولة لنيل احترام الجميع ، واعترافهم بتفوّقك .. ولكن ما حدث جاء عكسيًّا ، فسخر الجميع من اختراعك ، وهنا قررْت إخضاع العالم كله لسيطرتك .. ومن هذه اللحظة تفجّرت عقدتك النفسية ، وتحوّلت إلى جنون .. جنون القوة .

اغرورقت عينا العجوز بالدموع ، وغمغم فى صرامة :

— كيف .. كيف عرفت كل ذلك ؟

تنهّد (رمزى) ، وهو يقول :

— إنها مهنتى .. أنا خبير فى الطّب النفسى .

ظهر الغضب على وجه الدكتور (إدمون) ، وقال فى حدّة :

— لن أسمح لكما بالحياة دقيقة واحدة ، بعد ما عرفتماه عنّى .. ولن أغفر لك وصفى بالجنون أيها الطبيب النفسى الأحمق .

ثم أشار إلى الخارقين الخمسة ، فى حزم :

— اقتلوهم يا رجال .

* * *



١١ ـ الدمار ..

لم يكد الدكتور (إدمون) يلقى أمره الوحشىّ ، حتى تراجع الخارقون الخمسة ، الذين تقدّموا نحو (نور) و (رمزى) فى تحفّز وشراسة ، وتراجع (نور) و (رمزى) فى حذر ، وهتف (رمزى) :

— إنك تفقد فرصتك الوحيدة للشفاء يا دكتور (إدمون) .. صدّقنى .. إنك تحتاج إلى علاج نفسى عاجل .

أمسك (نور) ذراعه فى قوة ، وهو يقول :

— لا تحاول يا (رمزى) .. لقد وصل هذا الرجل إلى مرحلة من الجنون ، لا يصلح معها العلاج .

ثم التقط مقبضًا معدنيًا ، وقال فى صرامة

— سأحطّم أجهزة التقطير والخلط ، قبل أن يقتلنا هؤلاء الخارقون .

صاح الدكتور (إدمون) فى جزع :

— كلّا .. كلّا .. لا تحطّموها .. كلّا .

توقَّف الخارقون بغتةً ، وقد خُيِّل إليهم أن الأمر موجَّه لهم ، وصاح (نور) فى ظفر :

— هل رأيت كم يسهل خداعك أيها المغرور ؟.. لقد أجبرتك على إيقاف رجالك الخارقين ، مستخدمًا صوتك أنت ، الذى أمرتهم ألّا يطيعوا غيره .

انفجر الغضب فى وجه (إدمون) ، وهو يصرخ :

— يا لك من مخادع !! يا لك من مناور !!

وهدر صوته كالإعصار ، وهو يهتف :

— اقتلوهما يا رجال .. اقتلوهما .

وفى حركة سريعة قوية حاسمة ، ألقى (نور) المقبض المعدنى نحو أجهزة التقطير الزجاجية ، وهو يهتف :

— فليشمل الدمار إذن كل شىء .

وفى نفس اللحظة ، انقض عليه الخارقون الخمسة ، وعلى (رمزى) ..

* * *

تُرى ما هى فرصة نجاة رجلين عاديين ، من خمسة رجال لهم قوة (سوبرمان) ؟..

إنها تقريبًا .. (صفر) ..

ولقد كان (نور) و (رمزى) يعلمان ذلك ، ولكن هذا لم يوقفهما ..

لقد انطلقا لتنفيذ هدف مشترك ، لم ينطق أحدهما به ، ولم يتفقا عليه من قبل ، ولكنه جال بخاطريهما فى آن واحد ..

انطلقا لتدمير معمل إنتاج عقَّار القوة ..

وصرخ الدكتور (إدمون) فى فزع ، وهو يرى ثمرة كفاح عمره تنهار أمام عينيه :

— كلَّا .. لا تفعلا ذلك .

ثم انتبه إلى خطإ عبارته ، حينما عاد رجاله الخمسة يتردَّدون مرَّة أخرى ، فعاد يصيح :

— بل اقتلوهما .. مزِّقوهما ..

وأطلق ضحكة جنونية عجيبة ، قبل أن يهتف :

— دمِّروها .. دمِّروا كل شىء .. كل شىء ..

واختلطت ضحكته الجنونية بالصرخات الوحشية ، التى انطلقت من حناجر الخارقين الخمسة ، وهم يهاجمون (نور) و (رمزى) ، ورفع أحدهما (رمزى) فى قوة ، فطار جسده عاليًا ، وسقط فوق بعض الأوانى الزجاجية ، وحطَّمها فى صوت مسموع .. أمَّا (نور) فقد قفز فوق ذراع أحدهم ، وتفادى فى



وقفز على الدكتور (إدمون) ، وصنع من جسده درعًا ، يحول بينه وبين ضربات الخارقين ..

رشاقة ضربة ساحقة من كفِّ الآخر ، كانت تكفى لتحطيم ضلوعه ، إذا ما أصابته ، ثم انزلق تحت ذراع الثالث ، وقفز على الدكتور (إدمون) ، وصنع من جسده درعًا ، يحول بينه وبين ضربات الخارقين ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها أحد الخارقين (رمزى) بذراعه ، واستعد لتحطيم جمجمته بلكمة خارقة ، فصاح (نور) ، وهو يضغط عنق الدكتور (إدمون) فى قوة :

ــ مُرْهُم بترك زميلى وإلّا اعتصرت عنقك .. هيّا .

صاح الدكتور (إدمون) ، وهو يشعر بآلام ذراع (نور) حول عنقه :

ــ اتركوه .. اتركوه .

ترك الرجل الخارق (رمزى) فجأة ، فسقط على ظهره ، ونهض فى صعوبة وألم ، وتحامل على نفسه فى عسر ، حتى وصل إلى (نور) ، وهو يغمغم :

ــ يا إلهى !! .. لقد تصوَّرت أنها النهاية .

صاح (نور) ، وهو يواصل ضغطه على عنق الدكتور (إدمون) :

ــ اطمئن يا (رمزى) .. إنهم لن يهاجمونا ، ما دمنا نحتمى بجسد هذا المجنون .

صرخ الدكتور (إدمون) فى جنون :

ـــ لا تصفنى بالجنون .. لا تفعل هذا .

جذبه (نور) فى قوة إلى باب المعمل ، وتبعه (رمزى) فى توتر ، فى حين وقف الخارقون الخمسة يتطلعون إلى الموقف فى حيرة ، حتى صرخ الدكتور (إدمون) :

ـــ لن أترككما تفلتان .. حتى وإن دفعت حياتى ثمنًا لذلك .

وفجأة .. دفعه (نور) نحو رجاله الخمسة ، ثم قفز خارج المعمل ، جاذبًا (رمزى) ، وصاح وهو يعدو مبتعدًا :

ـــ أسرع يا (رمزى) .. لن يحتمل باب المعمل ضربة واحدة من هؤلاء الخارقين .. أسرع قبل أن يلحق بنا الموت مرة أخرى .

* * *

صاح (رمزى) ، وهو يعدو إلى جوار (نور) :

ـــ هل سنظل نعدو هكذا إلى الأبد ؟

تطلع (نور) إلى ساعته ، وقال :

ـــ لو سار البرنامج الذى غذيت به الكمبيوتر ، المسئول عن توليد الكهرباء هنا ، على ما يرام ، فستسرى فى جدران هذا

المخبأ ، وأرصفته ، بعد خمس دقائق ، شحنة كهربية ، تكفى لإطلاق مادة الأدرينالين ، من الغدة فوق الكلوية لهؤلاء الخارقين . ولو أن استنتاجى صحيح ، فسيعيد هذا إليهم وعيهم لبعض الوقت ، ولن يصبحوا مجرد آلات يحركها هذا المجنون .

سأله (رمزى) فى قلق :

ـــ وماذا سيفعل بنا هذا التيار الكهربى ؟

مط (نور) شفتيه ، وقال :

ـــ إنه لن يكفى لقتلنا ، ولكنه قد يفقدنا الوعى أو ....

وصل إلى مسامعهما فى هذه اللحظة صوت تحطم باب المعمل ، وصوت أقدام الخارقين الخمسة ، وهم يعدون نحوهم ، وصاح (نور) :

ـــ اجر بكل ما تملك من قوة يا (رمزى) .

هتف (رمزى) فى يأس :

ـــ إننى أفعل بالفعل يا (نور) ، ولكن سرعتى لن تبلغ أبدًا مائة كيلومتر فى الساعة .

وفجأة برز أمامهما ستة من الخارقين ، وما أن توقفا حتى لحق بهما الخارقون الخمسة ، من الجانب الآخر للممر ، ولم يعد هناك منفذ واحد للنجاة ، فغمغم (رمزى) فى استسلام :

— لقد انتهى الأمر .. وداعًا يا (نور) .. وداعًا .

* * *

وقف الدكتور (إدمون) مصدومًا ، يتطلع إلى معمله ، الذى حاق به الخراب ، ثم ركع على ركبتيه أمام بقايا السائل الفسفورى ، المراق على أرضية المعمل ، ودفن وجهه بين كفيه ، وهو يبكى مغمغمًا :

— لقد ضاع كل شىء .. ضاع كل شىء .. إن إعداد عقار القوة يحتاج إلى عام كامل من التعب والجهد ، وسأفقد سيطرتى على أتباعى بعد أسبوع واحد .. لقد ضاع كل شىء .

وبينما كان يبكى وينتحب ، ارتفع صوت الكمبيوتر الناطق يقول :

— تحذير .. خلل فى برنامج توليد الكهرباء .. تحذير .. لابد من تعديل البرنامج .. ستسرى شحنة كهربية فى الجدران .. تحذير .. ستنفجر كل الأجهزة .. تحذير .

استمع الدكتور (إدمون) إلى الصوت المعدنى لكمبيوتر الأمن فى شرود ، وغمغم :

— لابد من إيقاف توليد الكهرباء ، وإلا انفجر المكان كله .

وازداد شروده ، وهو يغمغم :

— نعم .. سينفجر المكان كله .

وعاد صوت الكمبيوتر المعدنى يتردد فى المكان :

— سينفجر كل شىء .. تحذير .. سينفجر كل شىء .

أحنى الدكتور (إدمون) رأسه ، وغمغم فى إحباط هائل :

— ستنفجر نتائج أربعين عامًا من العمل والدراسة ، سيحيق الدمار بكل شىء ..

وتحولت لهجته الخافتة ، المنكسرة إلى ضحكة جنونية ، ارتج لها المكان كله ، والتمعت عيناه ببريق مخيف ، وهو يصرخ :

— نعم .. سيحيق الدمار بكل شىء .. بكل شىء .. بكل شىء .

واختلطت ضحكته الجنونية بصوت التيار الكهربى ، وهو يسرى فى الجدران ، ثم انفجر المخبأ كله فى دوى ، ارتج له (جبل موسى) من قمته حتى قاعدته ..

* * *

١٢ ـــ أجساد فولاذية ..

كان الخارقون ينقضّون على (نور) و (رمزى) ، حينما دوّى الانفجار ، وتمزّقت جدران المخبأ كما لو كانت من ورق ، وهوى سقفه فى صوت هادر ، وأطبق الظلام على كل شىء ، وشعر (نور) بثقل هائل على جسده ، وسقط (رمزى) على وجهه ، وراودت (نور) فكرة واحدة ..

(سلوى) .. و (نشوى) ..

زوجته وابنته ..

لقد أنقذهما ..

أنقذهما من مجنون آخر ، أراد السيطرة على العالم ..

أنقذهما من العيش فى عالم بلا عقول ..

وتضاءلت الفكرة ، وانكمشت مع أنفاسه اللاهثة ..

وأظلمت ..

ثم انتهى كل شىء ..

* * *

ارتجّ (جبل موسى) بالانفجار القوى ، الذى انتقلت أصداؤه إلى نقطة المراقبة من (سانت كاترين) ، فقفز قائد نقطة المراقبة من خلف مكتبه ، وهو يهتف فى جزع :

ــ يا إلهى !! .. ماذا حدث ؟ .. هل اندلعت حرب جديدة ؟

ثم ضغط على أحد الأزرار الموضوعة على مكتبه ، وصاح عبْر جهاز (التليفيديو) :

ــ ماذا حدث بالله عليك ؟

برزت على شاشة (التليفيديو) صورة رئيس جهاز المراقبة الإليكترونية ، الذى بدا شديد الاضطراب ، وهو يقول :

ــ تشير أجهزتنا إلى حدوث انفجار هائل فى قلب (جبل موسى) يا سيّدى .

هتف قائد نقطة المراقبة فى دهشة :

ــ فى قلب (جبل موسى) ؟ .. كيف ؟ .. ولماذا ؟

ثم عقد حاجبيه ، واستطرد فى حزم :

ــ فلتنطلق دوريّة خاصّة إلى هناك ، لبحث الأمر ..

ولوّح بكفه ، مردفًا :

ــ سأصحب الدوريّة إلى هناك .. اللّعنة !! طوال عشرة أعوام من العمل هنا ، هذه أول مرة أواجه فيها أمرًا كهذا .

ولقد كان قائد نقطة المراقبة يستحق وساماً ، نظراً للسرعة الفائقة ، التى تم فيها إعداد الدوريّة ، وانطلاقها إلى منطقة الانفجار ، وحينما استقرّت عند سفح (جبل موسى) ، هتف القائد فى دهشة :

— عجبًا !!.. كل شىء يبدو على مايرام .. أين هذا الانفجار اللّعين ؟

غمغم رئيس المراقبة الإليكترونية ، وهو يدور بعينيه فى المكان بحَيْرة :

— لابدّ أنه حدث داخل الجبل ، فقد كانت الموجة الارتجاجية صادرة من هنا .

عقد القائد حاجبيه ، وغمغم فى توتُّر :

— ألا يحتمل أنه زلزال عادىّ ؟

هزّ رئيس المراقبة رأسه فى حَيْرة ، وقال :

— مستحيل ، فالزلزال يعطى موجة اهتزازية متجانسة ، أما الانفجار فيعطى موجة تضاغط مفاجئة .

سأله القائد فى حدّة :

— وهل أنت واثق من نتائجكم ؟

هتف رئيس المراقبة فى استنكار :

— كل الثقة يا سيّدى القائد .

مطّ القائد شفتيه فى صرامة ، وقال :

— ليس أمامنا إذن إلا قرار واحد .

وتنهّد ، قبل أن يستطرد فى حزم :

— سننقّب كل شبر فى (جبل موسى) .

* * *

تلفّت أحد رجال الدوريّة حوله فى ملل ، وغمغم فى ضيق :

— أراهن أن هؤلاء الحمقى ، فى قسم المراقبة الإليكترونية ، قد أساءوا تفسير الإشارة ، لا يوجد أدنى أثر للانفجار .

هزّ زميله كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

— وما شأننا بذلك ؟.. دعنا نعمل طبقًا للأوامر فحسب .

قلّب الأوّل شفتيه ، ولوّح بمسدسه اللّيزرى ، وهو يقول :

— الأوامر ، دائمًا الأوامر ، ولو كانوا هم الذين ....

بتر الرجل عبارته فجأة ، وتدلّت فكّه السفلى فى ذهول ، حتى أن زميله عقد حاجبيه فى قلق ، وهو يسأله :

— ماذا أصابك ؟

ارتجفت أصابع الرجل ، وهو يشير إلى نقطة ما ، وسط



لقد رأى كلاهما رجلًا ، يبرز من بين الصخور ، وهو يحمل بين ذراعيه جلمودًا من الصخر ، يحتاج إلى عشرة رجال على الأقل لزحزحته شبرًا واحدًا ..

الصخور ، وعجز لسانه عن النطق ، فاكتفى بإيماءة عصبيّة من سبّابته ، جعلت زميله يلتفت إلى حيث يشير ، ولم يلبث أن حدّق فيما يشير إليه زميله فى ذهول ، لا يقل عن ذهول الأول ، وتراجع وهو يغمغم فى ذُعر :

ـــ أأصابنا الجنون ، أم أن الظلام يصنع أوهامًا ؟

كان من حقهما أن يصابا بالذهول حتى الأعماق ، فقد رأى كلاهما رجلًا ، يبرز من بين الصخور ، وهو يحمل بذراعيه جلمودًا من الصخر ، يحتاج إلى عشرة رجال على الأقل ، لزحزحته شبرًا واحدًا ، ووصل ذهولهما ورعبهما إلى ذروتهما ، حينما ألقى الرجل جلمود الصخر جانبًا فى بساطة ، وكأنه يلقى حجرًا صغيرًا ، ثم انحنى يلتقط صخرة أخرى ، تفوق الأولى حجمًا ..

تسمّر رجلا الدوريّة فى ذهول ، والتقط أحدهما جهاز اللاسلكى الخاص به ، وغمغم فى صوت متحشرج مختنق :

ـــ هنا الفرقة (خمسة) .. لقد عثرنا على .. على ....

تردّد الرجل لحظة ، فهتف به القائد ، عبْر جهاز اللاسلكى :

ـــ على ماذا عثرتم عليكم اللعنة ؟

حار الرجل فى البحث عن جواب مناسب ، ولكن الجواب الذى عثر عليه غاص فى حلقه ؛ حينما التفت إليه وإلى زميله ؛ ذلك الرجل الخارق ، وهتف فى استنجاد :

ــ هلمَّا لمساعدتنا .. أحضر هليوكوبتر إسعاف .

غمغم الرجل فى ذهول :

ــ مساعدتكم ؟!.. أهناك كثيرون ممن على شاكلتك ؟

هتف الرجل فى ضجر :

ــ هناك حوالى الخمسين .. ولكننا نستطيع شق طريقنا بأنفسنا .. المهم أن تسرعوا بإنقاذ الشابين ، وإلا لقيا حتفهما ..

ثم صاح فى غضب :

ــ أسرعا بالله عليكما .

انطلق رجلا الدورية يعدوان بأقصى سرعة ، وأحدهما يهتف فى ذعر :

ــ خمسون ؟!.. يا إلهى !!.. إنها نهاية العالم .. نهاية العالم ولا شك .

* * *

١٣ ــ الختام ..

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه المهندس (طارق) ، وهو يعبُر بوَّابة حديقة منزل (نور) وضحك فى مرح ، وهو يقول :

ــ كيف حالكم أيها الأبطال ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ كما ترى .. الفريق كله أصبح من ذوى العاهات .

ضحكت (سلوى) ، وهى تغمغم :

ــ فيما عداى أنا .. لقد شفيت منذ يومين كاملين .

جلس المهندس (طارق) وسط أعضاء الفريق ، وهو يقول :

ــ فلنحمد الله يا سيِّدتى ، لقد نجا الفريق بأعجوبة هذه المرَّة .

ثم اعتدل ، وضمَّ كفيه أمام وجهه ، وهو يستطرد :

ــ لقد شاء الله (سبحانه وتعالى) أن تكون أجساد

الخارقين هي السبب في نجاة (نور) و (رمزى) ، ونجاتنا جميعًا .. فلقد كنا نحيط بهما ، ونحن نهمّ بتمزيقهما إربًا ، حينما انفجر المخبأ ، وحمت أجسادنا المنيعة .. أقصد التي كانت منيعة جسديهما من الانفجار ، والصخور المتطايرة ، وحتى حينما انهار السقف ، حملته أجسدنا عنهما .

ثم ابتسم ، وهو يردف :

ــ ولولا سقوطنا فوقهما ، وأطنان التراب والغبار ، التي نجمت عن الانهيار ، ما خرجا سالمين ، دون أن يمسهما جرح واحد .

وتنهّد قبل أن يتابع :

ــ ولقد كان من السهل علينا ، بعد أن تحرّرنا من سيطرة (إدمون) ، أن نرفع أطنان الصخور ، ونشق طريقنا إلى الخارج ، ولقد شاء المولى (عز وجلّ) أن نجد دورية البحث ، التي أسرعت تحضر هليوكوبتر الإسعاف ، وتم نقل (نور) و (رمزى) إلى مستشفى (سانت كاترين) ، حيث أمكن إنقاذهما بأعجوبة .

أومأ (نور) برأسه ، وغمغم :

ــ هذا عجيب !! .. الأجساد التي صنعها (إدمون) للتدمير ، كانت السبب الرئيسي في نجاتنا .

غمغم (رمزى) في إشفاق :

ــ لقد كان رجلًا مسكينًا ، أعمى الحقد قلبه ، وأطار عقله وصوابه .

ضحك (محمود) ، وقال :

ــ وتسبّب في تحطيم ضلوعي وضلوعك .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ كان من الممكن أن يحدث ما هو أسوأ ، لو أنه نجح فيما كان يخطط له .

قال المهندس (طارق) في حيرة :

ــ ولكن كيف نجح في السيطرة علينا ؟ .. إنني لا أذكر أبدًا أنني قابلته .

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

ــ سيبقى هذا لغزًا يا سيّد (طارق) ، وسيبقى سرّ إضافتك لتلك المعادلة العجيبة ، التي قادتنا إلى مكان اللقاء ، غامضًا أيضًا .

استرخى المهندس (طارق) في مقعده ، وغمغم :

ــ كم أتوق لمعرفته .

ساد الصمت لحظات ، ثم سأله (رمزى) في هدوء :

ـــ قل لي يا سيد (طارق) .. هل تأسف على فقدانك هذه القوة الخارقة

ابتسم (طارق) وهو يشرد ببصره لحظات ، ثم أجاب :

ـــ الشعور بالقوة أمر ممتع يا دكتور (رمزى) ، ولكن القوة بدون عقل هي الضعف كله .

وانحنى إلى الأمام مستطردًا :

ـــ لقد نجحت أنت و (نور) بعقليكما فى هزيمة كل الخارقين ، ونجح فريقكما كله فى هزيمة عشرات الألغاز العلمية الخارقة .

ثم عاد يعتدل فى مقعده ، ويبتسم ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـــ صدقنى .. أنتم الخارقون الحقيقيون .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥